Aml
www.liilas.com

٣٢

روايات احلام

القلب إذا سافر

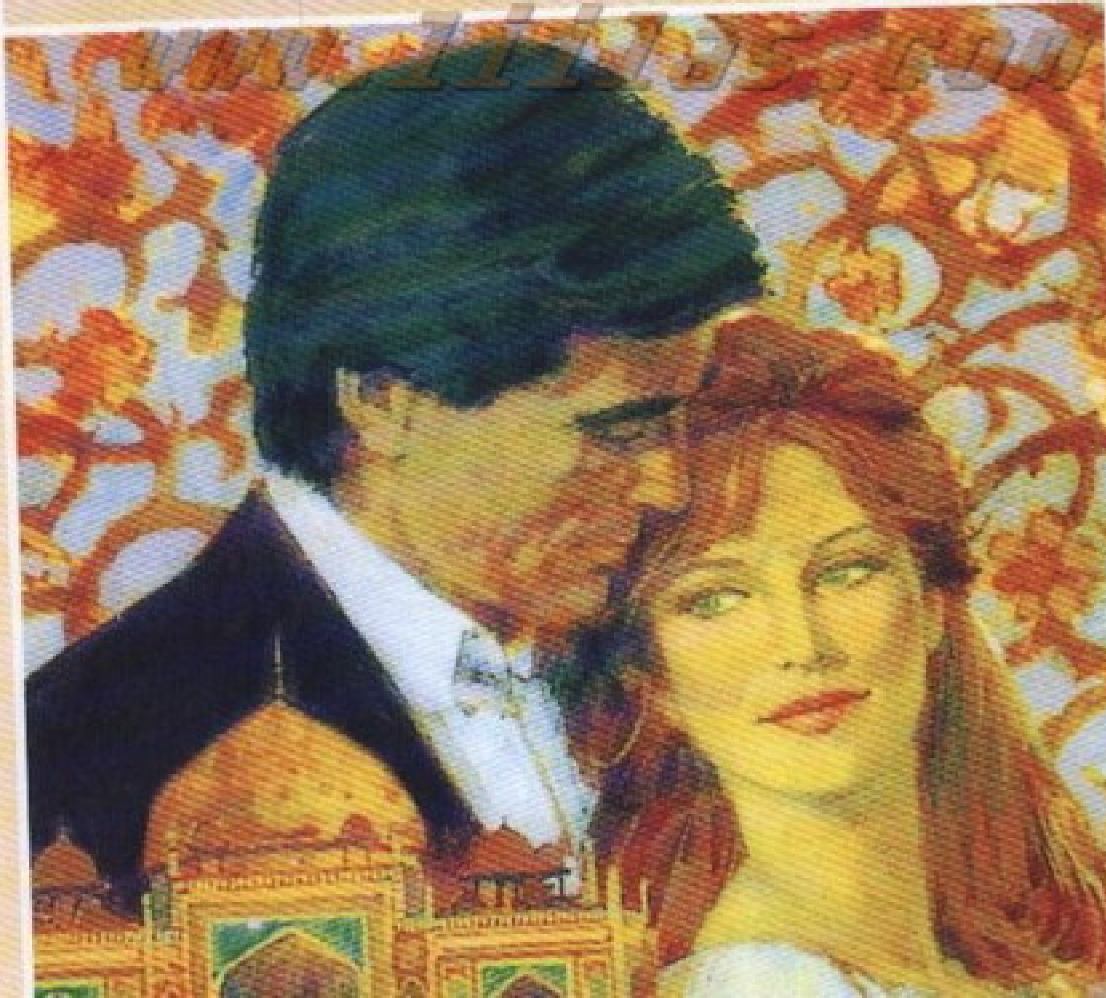

القلب إذا سافر

من يستطيع أن يمنعنا من بناء القصور ولو فوق الرمال؟ من يستطيع أن يمنع قلوبنا من السفر ولو إلى حدود المحال؟

سافرت ڤاليري إلى آخر العالم وفي حقيبتها أمانة وفي قلبها حمل ثقيل. وفي الفيليبين التقته أول مرة، وتبعها مارك هارلي بعد ذلك كظلها من مكان إلى آخر.

وتساءلت ڤاليري ماذا يريد رجل من امرأة يتبعها بهذا الإصرار: إذا كان لصًا فكيف تتركه يسرق قلبها وإذا كان غاويًا للنساء فها الرحلة قد انتهت ولن تراه بعد الآن. لكن ماذا ستفعل لو التقته؟

Aml
www.liilas.com
www.liilas.com

١ ـ الوديعة

دخلت ڤاليري باريت عبر مدخل مبنى شركة «تشاريوت وشركاه» شاردة الذهن، وتقدمت بخفة لتصعد السلم الى الطابق الأول حيث مكتبها. أمامها بعد ثلاثة أيام عمل كاملة قبل أن تُقلها الطائرة مع تينا الى الشرق الأقصى غداة صباح الخميس... كانت تينا متشوقة لهذه الرحلة أكثر من ڤاليري والتي كانت محور حديثهما الدائم منذ أن اطلقت صديقتهما الفيليبينية «ماريا سيناو» فكرة تفرغهما لزيارة الشرق، وخاصة الفيلبين حين قامت بزيارتهما العام الماضي.

انتبهت ڤاليري من شرودها لترى أنها كادت تمر بمكتب «جاكس فيلدز» دون أن تحييه:

ـ صباح الخير بروفسور.

ما كان عليها أن تزعج نفسها، لأنه كعادته كان في عالم آخر، فلم يرها أو يسمعها. فابتسمت... فجاكسون الباحث الفيزيائي لدى الشركة كان دائم الشرود في مشكلة يعمل على حلها منذ أشهر.. مشكلةٌ إذا وجدت حلاً بوأت الشركة مركز القيادة أمام منافسيها حول العالم كله... ليته فقط يستطيع ذلك...

دخلت مكتبها وحيث رئيسها باتريك ميدوز:

- صباح الخير باتريك.

فرد عليها:

- صباح الخير.. لِمَ كل هذا الابتهاج؟

- آه.. لا تهتم.. أهناك أخبار سيئة؟

كانت تعلم أن سبب توتره أنه قريباً سيفتقد سكرتيرة كفؤة لمدة ثلاثة أسابيع... فأكملت:

- ماريسيا ستحل مكاني، وأنا أعلم برغبتكما في البقاء معاً طوال اليوم.

لاحظت فاليري الابتسامة التي ارتسمت على وجه باتريك وهي تذكره أن سكرتيرته السابقة، وزوجته الحالية، سوف تجلس مكانها يوم الخميس... ثم قال:

- أجل... حسناً... فلنبدأ العمل.

بالرغم من انشغالها، لم تستطع فاليري سوى التفكير بماريسيا ميدوز، فهي ليست بحاجة للعمل، حتى قبل زواجها من باتريك. فشقيقها رئيس مجلس ادارة المؤسسة، وكريم اليد مع شقيقته. وكانت فاليري جد مسرورة لقرار ماريسيا التخلي عن عملها لأن هذا افسح لها المجال للحلول مكانها.

باتريك كان المسؤول عن الجانب الاداري لقسم البحوث والتطوير الذي أقيم منذ بضعة سنوات. والقسم كله يسوده جو من الصداقة الحميمة، وهذا ما كان يخفف من وطأة الملل الذي يفرضه جو العمل على الموظفين.

تفحصت ما طبعت، فوجدت أنها لم تخطىء بأية كلمة بالرغم من انشغال تفكيرها. ثم وضعت أوراقاً جديدة في آلة

الطباعة لتبدأ من جديد. وعاد تفكيرها ينشغل بمارك تشاريوت... رئيس المؤسسة كلها والذي لم تره مطلقاً لوجود مكاتبه الادارية في الجهة الأخرى من المدينة... كان بإمكانها أن تراه لولا ترددها، فقد جاء منذ سنة تقريباً ليرى البروفسور فيلدز بشأن العمل، وكانت حينها تشعر بتعب من «رشح» أصابها فلم تخرج من مكتبها.

في المرة الثانية التي زار فيها المؤسسة كان يوم عطلتها حين رافقت صديقتها ماريا ميناو في نزهة الى المدينة.. وكان ذلك يوم خرج باتريك عن طوره، بالرغم من حبه لزوجته ماريسيا، وأقام علاقة مع إحداهن. لم تستطع فاليري فهم دوافع ما أقدم عليه لكنها عزت السبب للاهتمام الذي تلقاه من خلال الأوساط الاجتماعية الجديدة التي توافرت له بعد زواجه.

ولأن فاليري كانت على صلة وثيقة بباتريك علمت قبل غيرها أنه يعبث ويجازف. وعلم بأنها كشفت سرّه حين سمعته يوصي أحدهم بارسال الأزهار التي تناسب الحبيبة الجديدة، إضافة الى الرسالة الغرامية.

www.liilas.com

لكن الذعر سرعان ما أعاد باتريك الى تعقله حين أدرك أنه قد يخسر ماريسيا. وبما أنه بحاجة لمن يسمع شكواه لم يستطع اخفاء سره عن فاليري واثقاً بها وبحرصها على أسراره. فأخبرها عن علاقته الجديدة والتي علمت بها زوجته ماريسيا، التي بدورها أطلعت أخاها مارك تشاريوت على كل شيء.

تابع باتريك قوله:

- لقد جاء ليراني هنا .. إنه أكبر من ماريسيا باثنتي عشرة سنة وقد تولى رعايتها منذ أن توفي والداهما.. للوهلة الأولى

ظننت أنه سيقتلني، لكنه أهانني وذكرني بأنه لولا حب ماريسيا لي لطردت من العمل.

وبدا لڤاليري أن م. تشاريوت رجلاً مرعب، فحاولت اظهار شفقتها على باتريك، لكن تعاطفها مع ماريسيا كان أكبر.

انهت ڤاليري العمل الذي في يدها وخرجت للغداء مطمئنة الى أن رئيسها وزوجته يتمتعان الآن بعلاقة طيبة، وبعد الظهر حين دخلت الى مكتب باتريك لدراسة بعض الأوراق معه والتي طلب إليها طباعتها، فوجئت بما بدا على وجهه من تعبير فقال لها:

- هل تسدين لي معروفاً؟

في الواقع، أن ڤاليري لا تستطيع التأخر في العمل، فهي بعد لم تنهِ استعدادها للسفر. قالت:

- من أجلك باتريك... أفعل أي شيء.

لكن الجميل الذي طلبه، لم يكن له علاقة بعمل اضافي. فقد كشف لها أن ما بينه وبين ماريسيا قد عاد الى طبيعته تقريباً. وأكمل:

- عيد ميلادها بعد أربعة أسابيع... وبعد اجهاد في التفكير، وجدت لها هدية مميزة ستطير فرحاً بها.

- وماذا اشتريت لها؟ أم تريد أيضاً الأمر سراً؟

- سراً عنها فقط.

واخبرها عن خاتم عائلي حصلت عليه ماريسيا ولم تعد تضعه في اصبعها لأن أحد احجاره مفقود.

- فقدته آخر مرة وضعته.. لذلك أخذته ووضعت له طاقم الماس جديد مفاجأة لها في عيد ميلادها.

- أوه باتريك كم هذا جميل...! سوف تطير فرحاً.

- صحيح... لكن المشكلة أنني لن أستطيع أخذه معي الى المنزل، لأنني لا أريدها أن تراه إلا صباح عيد ميلادها.

- ألا يمكن أن تخبئه في مكان ما؟

لاحظت أن سؤالها ضايق رئيسها فتجهم:

- بعد الذي حصل.. منذ ستة أشهر.. فقدت مشاعرها وإحساسها بالثقة... يا إلهي كيف فعلت هذا!.. حسناً.. لا يمكن لومها، فقد أصبحت تفتش اغراضي.

مسكينة ماريسيا، لا بد أن ثقتها به تلقت ضربة مزعزعة، حتى أنها لا تزال تفتش عن دليل لأية امرأة أخرى، ومسكين باتريك، فهي تعرف جيداً كم يعاني لأجل أن يكفّر عما فعل.

- أتريدني أن احتفظ لك بالخاتم؟

- ليتكِ تفعلين؟

- لكنني مسافرة!

www.liilas.com

وادركت أن الخاتم يساوي ثروة حتى بدون حبات الماس بما أنه كان سابقاً لعائلة تشاريوت. وأجابها:

- لابأس في هذا!

- لا أستطيع استبقاء غرض ثمين وأنا غائبة.

- أوه ڤاليري.. كم مرة سرق منزلك؟

- ولا مرة.

وتابعت أفكار باتريك ففهمت بأن الضاحية التي يعيش فيها في لندن، تستقبل زواراً ليليين غير مرغوب بهم أكثر من الضاحية البسيطة التي تعيش فيها.

- إذن.. ما العمل؟

- ألا يمكن أن تستبقيه عند الجواهري؟

- سينتقل الجواهري الى محل جديد الأسبوع القادم، وقد يؤدي انتقالهم من مكان لآخر الى تأخير لا أرغب به. أرجوك فاليري جميل لا أنساه لك، فمنذ زمن طويل وأنا أوفر من مالي الخاص لأقدم لها شيئاً.

- ومتى ستحضره؟

- يوم الأربعاء، خذيه وضعيه في أي مكان في منزلك، وانسيه حتى تعودي من اجازتك، ثم ترجعينه بعد عودتك بأسبوع. وسآخذه معي مساء الاثنين بعد أربعة أسابيع.

كانت لا تزال تفكر بأمر باتريك عندما عادت الى منزلها. بعد الوجبة قدّرت أن صديقتها تينا قد انهت بدورها العشاء فاتصلت بالمجمع السكني الذي تعيش فيه، وانتظرت دقائق حتى ناداها أحدهم لترد، ولاحظت فاليري أن صوت تينا يفتقد للحماسة والمرح، فسألتها على الفور:

- ما بكِ؟

- لا شيء.. أشعر فقط.. بالاحباط فلا تقلقي سأكون على ما يرام في الغد.. هل وضبت حقائبك؟

- أبداً. لكنني سأبدأ الآن.

وطال الحديث بينهما فذكرتا ماريا ميناو وأعادتا تفحص ترتيبات سفرهما.. وسألت تينا:

- لن تكون ماريا ميناو أو والدتها هناك أول أسبوع، أليس كذلك؟

- هذا صحيح، فجدتها فقيرة والسيدة ميناو قد ذهبت لرؤيتها حيث تقيم في جزيرة نائية من الفيليبين... لكن ماريا

لن تستطيع الغياب أكثر من أسبوع عن عملها في مانيلا، لذلك لن تراها إلا بعد عودتنا من ماليزيا الى مانيلا.

- مؤسف أن لا نستطيع رؤيتها... لكن ربما نصادفها قبل رحيلنا آخر يوم اثنين عندما تعود الى العمل.

بعد المخابرة، قامت فاليري بتجهيز جدّي لحقائبها...

فيوم الثلاثاء، كان شاقاً في العمل، مما جعلها تشعر حقاً بحاجتها الى فترة راحة.

يوم الأربعاء بعد الظهر، أتمت كل شؤونها لكي يتسنى لخليفتها استلام العمل دون مشاكل من بعدها. دخلت مكتب باتريك لتوضح بعض الأمور.. لم تندهش عندما أعطاها باتريك علبة مربعة صغيرة من جيبه ووضعها على كومة أوراق فوق الطاولة:

- هذا هو الخاتم... وشكراً سلفاً يا فاليري.

- هل أستطيع رؤيته؟

ثم شهقت عندما فتحت الغطاء:

- باتريك! لا يمكنني أن أترك شيئاً ثميناً كهذا في شقتي! ومن الأفضل لو...

- أوه.. أرجوك!

- اتركه في خزنة المكتب باتريك... سيكون أكثر أماناً...

- غير ممكن لأن ماريسيا ستعمل معي في غيابك.

فقبلت فاليري رغم عدم اقتناعها ووضعت الخاتم في حقيبتها. عند عودتها قال:

- ستحبين هذه الرحلة، فالمناظر خلابة في تلك الجزر.. الطقس دافىء هناك في مثل هذا الوقت من السنة. فمناخها من

تشرين الثاني حتى شباط جاف مع قليل من البرودة، وأنتِ محظوظة للتخلص من طقس إنكلترا البارد خلال شهر كانون الثاني.

ونسيا العمل وهو يخبرها عن زيارته لتلك المنطقة وعن احتفالات رأس السنة الشرقية التي تبدأ أوائل شباط، وعن أسواق الزهور والسهرات التي تستمر حتى مطلع الفجر. ونقر الطاولة بأصابعه وهو أمر يفعله عندما يتذكر أمراً:

ـ لقد تذكرت... هناك مطعم رائع في مانيلا يدعى «سنداوي» يجب أن تذهبي إليه...

وقبل أن يكمل شرحه دخل البروفسور فيلدز هائجاً، ووقف قرب طاولة باتريك يلوّح بورقة في يده، غير قادر على الكلام.. فقال باتريك مخمّناً:

ـ أظنك وجدت حلاً لمشكلة تآكل المادة؟

فاتسعت ابتسامة جاكس فيلدز:

ـ بالصدفة وحدها. منذ أشهر طويلة وأنا اتخبط في بحثي. أتفحص وأعيد، ثم، ولسبب مجهول استدار تفكيري في اتجاه لا علاقة له بالبحث... وها قد وجدتها!

قفز باتريك من مقعده ليمسك بيد جاكس مهنئاً، كما فعلت ڤاليري... وتحول الحديث الى شرح علمي تقني فأخذ جاكس يشرح الاسباب والمسببات، التي لم تفهم ڤاليري منها شيئاً. ومن النظرة المرتسمة على وجه باتريك ادركت أنه يجد صعوبة في فهم ما يقال، لكنها مع ذلك أحست بالسعادة لأجل جاكس الذي لم تذهب اتعابه مدى الأشهر الماضية سدىً.

وسأل جاكس أين يمكن أن يجد م.هـ. تشاريوت الآن...

فأجاب باتريك:

ـ لقد عاد اليوم من البرازيل، وقد يكون في مكتبه أو في منزله.

ـ سأتصل به فوراً.

وخطا خارج الباب، ثم عاد ليضع أوراقه على الطاولة قائلاً:

ـ من الافضل وضع هذه الأوراق في الخزانة. إنها مهمة جداً، ويجب أن لا تقع في يد أحد قبل وصول م.هارلي الى هنا.

بعد الاثارة التي أحدثها البروفسور، تحدث باتريك عنه وعن استحقاقه للنجاح. وقال:

ـ تشاريوت سيحتفل بالحدث.. هذا عدا المكافأة المالية المحترمة التي سيحصل عليها البروفسور. فهما يعرفان بعضهما منذ أيام الجامعة.

www.liilas.com

فكرت ڤاليري بما قاله، لقد قال لها سابقاً إن شقيق زوجته يكبرها باثنتي عشرة سنة، وماريسيا ستبلغ الخامسة والعشرين في الشهر القادم، هذا يجعله في السابعة والثلاثين، لكن البروفسور تجاوز الأربعين.. فسألت متعجبة:

ـ يبدو أن البروفسور قد تجاوز الأربعين!

ـ هذا ما يقلقه كثيراً فلا تدعيه يسمعك!

فضحكت ڤاليري، ثم سألها باتريك عما كانا يفعلان قبل دخول جاكس.

ـ كنا ننهي الأمور العالقة، وكنت على وشك اعطائي عنوان ذلك المطعم في مانيلا.

أخذ ورقة صغيرة، فكّر قليلاً وكتب بخط مهملٍ عريضٍ، عنوان المطعم واعطاها إياها. فوضعتها في حقيبتها لتنقلها فيما بعد الى حافظة نقود كبيرة اشترتها لتتسع لنقودها الإنكليزية والأميركية والشرقية، بحيث لا تخلط بينها.

عاد باتريك من جولته في المكاتب عند الخامسة ليجد فاليري تغطي آلة الطباعة، وتفكيرها منشغل بسفر الغد، ولن ترى المكتب والآلة قبل ثلاثة أسابيع ونصف، وهذا لن يزعجها أبداً. فقال لها:

ـ تمتعي بوقتك يا عزيزتي، فأنت تستحقين الاجازة بعد عملك المضني معي، واشكرك لأنك احتفظتِ بالخاتم، ستفرح به ماريسيا فرحاً لا يوصف.

فاضت مشاعره ولم يتمالك نفسه، فانحنى ليطبع على خدها قبلة شكر وامتنان. فلم تجد في ذلك ما يدعو لصلبه، لكنها تمنت لو فعلت بعد أن استدارت لتحمل حقيبتها ورأت زوجته ماريسيا تقف عند الباب الخارجي تنظر إليهما بذهول وقد أساءت تفسير القبلة بينهما.

قالت فاليري بسرعة:

ـ باتريك كان يتمنى لي رحلة سعيدة ويودعني.

فردت ماريسيا ببرود:

ـ هذا ما رأيته!

واستدارت بحدة في اللحظة التي صاح فيها باتريك:

ـ ماريسيا حبيبتي!

وركض وراءها. . . اللعنة! هل يجب أن تبقى هنا فاليري؟ ماريسيا لم تذهب باتجاه المخرج، بل في الاتجاه الآخر، ربما

الى غرفة ملابس السيدات. لعلها الآن في نظر ماريسيا نقطة حمراء إذا لم يستطع باتريك ارضاءها، وبما أنه لا يريد كشف سر الخاتم فلن يستطيع كشف سبب تقبيلها. فجمعت اغراضها، وقد تلاشت سعادتها ببدء اجازتها واتجهت نحو السلم.

بينما كانت تفكر بما قد يحدث بين باتريك وزوجته، استدارت عند الزاوية لتصطدم برجل ضخم في الناحية الأخرى. فصاح بها بفظاظة:

ـ انظري أمامك وأنت سائرة.

أسود الشعر عريض المنكبين، صعد السلم درجتين في كل خطوة، دون أن ترى وجهه.

ـ أيها الشيطان المتعجرف!

وخرجت من الباب لتجد سيارة ضخمة تسد المدخل المفترض أن يبقى مفتوحاً.

نحو شقتها وفي السيارة توالت الأسئلة في رأسها عن الشخص الذي سمته بالشيطان المتعجرف. أيظن نفسه قادراً على إيقاف سيارته أين يشاء؟ ومَنْ مِنَ العاملين في المؤسسة يملك مثل هذه السيارة؟ إذن فالرجل الذي صاح بها أن تنظر أمامها لا يمكن أن يكون سوى م.هـ. تشاربوت نفسه.

مضت ساعتان وهي في المنزل تفكر بما قد آل إليه أمر ماريسيا وباتريك. لا بد وأنهما تصالحا الآن، فحاولت نسيان أمرهما وأمر م.هارلي تشاربوت المتعجرف. وأن تفكر أكثر برحلة الغد.

اتصلت بوالديها تودعهما، وتلقت النصائح التحذيرية من والدها وكأنها لا زالت طفلة صغيرة. . ثم اتصلت بصديقتها تينا

www.liilas.com

حيث قالت لها الفتاة التي ردت عليها إنها لم ترها منذ الصباح حيث نقلتها سيارة اسعاف.

ـ سيارة اسعاف؟ لماذا؟...

ـ أوه لا شيء خطير.. إنه التهاب في الزائدة.

قاومت ڤاليري وقع الصدمة وسألت المتكلمة عن المستشفى الذي نقلت إليه تينا فعلمت بأنه قريب من منزلها.

في الحال، أخذت معطفها وحقيبتها واسرعت في الخروج، وبالكاد لاحظت سيارة غريبة تقف غير بعيدة عن سيارتها.. وصلت الى المستشفى في وقت لا يسمح بالزيارات...

كانت حالة تينا مستقرة، فسمح لڤاليري بالدخول... بينما كانت تينا تبكي ابتسمت لها ڤاليري ممازحة:

ـ لا أعتقد أنك فعلت هذا عمداً!

وكان لمزاحها الأثر المطلوب فضحكت تينا ابتسامة خفيفة:

ـ ستذهبين.. أليس كذلك؟ أرجوك أن تذهبي! سأشعر انني أكثر سوءاً إذا كنت السبب في افساد عطلتك.

ـ بالطبع سأذهب.. ولن يكون الأمر كما كان يجب..

ـ ستكونين بخير لوحدك ڤاليري. لقد قالت ماريا ميناو إن لا مجال للضياع في مانيلا، وستكونين بصحبتها في آخر أسبوع هناك.. ولو في المساء.

سمح لڤاليري بالبقاء ربع ساعة ثم جاءت الممرضة تعتذر بكل أدب بأن الآنسة ماڤرز يجب أن ترتاح.

في سيارتها، خالت نفسها تتوهم وجود اشباح، فالسيارة التي لمحتها خارج شقتها كانت تقف غير بعيدة عن سيارتها. تناست الأمر بعد تشغيلها المحرك، وركزت تفكيرها على

الوصول الى منزلها، دون المرور في طرقات معتمة.

دخلت شقتها فاقدة الاحساس بالسعادة نظراً لتخلف تينا عن الرحلة، وأخذت توضب آخر ما تركته للاستخدام اليومي من ماكياج وملابس داخلية، لكن عندما فتحت الحقيبة وجدت أن الكنزة التي وضعتها على أعلى الملابس لم تكن في مكانها، وأن أغراض الحقيبة مبعثرة ولا أثر للترتيب الذي استغرق منها وقتاً كافياً... وأحست بالقشعريرة والفزع.. فاستقامت واستدارت ببطء..

كاد قلبها أن يتوقف حين أدركت أن شخصاً ما دخل شقتها.. وتولاها الخوف، لا تريد أن تصدق. تفقدت المطبخ، وغرفة النوم.

كل شيء في المنزل طبيعي. نظرت الى السرير.. فعاودها الخوف مع الحذر... إنها لم تترك يوماً شرشف السرير متدلياً هكذا. فازداد شعورها بالخوف حتى الغثيان و... لعل مجرماً ما قد لامس الفراش الذي تنام عليه.

قاومت خوفها وهي تبحث عن سبب يدفع أي انسان لاقتحام شقتها ولماذا يخرب سريرها؟ ولماذا يرفع الفراش من مكانه؟ وليس عندها من النفائس ما يغري، فكل ما تملكه هي تلك السلسلة الذهبية التي اشتراها لها والدها في ميلادها الواحد والعشرين، وهي تضعها حول عنقها!

لقد نسيت تماماً أمر الخاتم... لابد أن الخاتم هو السبب! ولا بد أن باتريك أخبر أحد الاشخاص أنها تحتفظ له به، وأن الشخص الذي..!

إنها بحاجة للجلوس، انهارت اعصابها، لكنها فتشت أولاً

www.liilas.com

حقيبتها لتتأكد من وجود الخاتم فيها، ها هو لمعانه يبهر الأنظار... إنه جميل، وغالي الثمن. إذن خطوة واحدة يجب أن تقوم بها الآن..

الساعة الحادية عشرة والنصف الآن، والوقت متأخر للاتصال بمنزل باتريك، لكن يجب أن يأتي ويأخذ الأمانة، أو أن يلاقيها في الصباح في المطار.. أو أي شيء.. لا يمكن أن تترك الخاتم بعد الآن هنا... لا بد أن باتريك كان أكثر جنوناً منها لهذا الاقتراح.

بسرعة طلبت رقم هاتف منزله. وسمعت صوتاً غير صوته:

ـ أيمكن أن أحدث باتريك... سيد ميدوز؟ أتسمح أن تقول له إنني سكرتيرته ڤاليري.

ونسيت لحظة خوفها أن ماريسا قد تظن بها سوءاً... وساد صمت قصير، ظنت أن الرجل سيستدعي باتريك... لكنه أجابها بنفسه وكان صوته أكثر فظاظة مشابهاً لصوت الرجل الذي اصطدمت به في المؤسسة، اضافة الى نفحة عدائية فقال:

ـ كم أنت وقحة... ألم يكفكِ أن ترى عشيقك في النهار حتى تتصلي به ليلاً في منزل شقيقتي؟

اذهلها الصوت الذي سمعته وحدقت ببلاهة في السماعة التي صفقها من جهته بقوة.

* * *

www.liilas.com

٢ ـ مطاردة

وجدت ڤاليري مانيلا بلداً مذهلاً. رغم قلقها وارتباكها فهي الآن تتلمس طريقها وحيدة، لكنها سرعان ما تغلبت على هذا التوتر فأمضت أسبوعها الأول من اجازتها تستكشف هذا الميناء الرئيسي، والعاصمة السابقة للفيليبين وأكبر مدينة في جزيرة لوزان.

بالأمس، ركبت الباص المتجه الى الداخل حيث أمضت يوماً كاملاً تستكشف مزارع قصب السكر وحقول الأرز والتبغ. وكانت فخورة بنفسها لأنها تمكنت من ركوب الباص والعودة الى مانيلا وحيدة دون أن تضيّع طريقها.

وها هي اليوم يُقِلُّها القطار مع مجموعة من السياح متجهاً بهم الى القسم الآخر من الجزيرة، حيث ستنقلهم عبّارة بحرية نحو جزيرة صغيرة يقضون فيها يومهم ثم يعودون في المساء. ملأ السرور قلب ڤاليري لأنها خضعت لتجربة جديدة وهي ركوب القطار...

نظرت ڤاليري نحو جناح الدرجة الأولى فوجدت المقاعد فيه متوازية في كلا الجانبين، يجلس عليها كل اثنين معاً. وبدا الجناح مزدحماً وقد قارب عدد المسافرين على الخمسين...

إنهم غربيون، بدا لها ذلك من لباسهم وأشكالهم.. لذا، وبعيداً عن اللائحة بالاسماء والعناوين التي أعطيت لها ولزميلاتها في الرحلة، فهذا العدد يعني أن هناك أكثر من مجموعة تتجه في نفس الاتجاه.

ـ مرحباً...

واستدارت ڤاليري لترى فتاة جميلة قصيرة الشعر، تحمل ذات الاشارة التي أعطيت لها من مكتب «سفريات الفيليبين».

ـ أنا إيملي تراونت، ولا بد أنك ڤاليري باريت... لقد مررت بجميع من وردت اسماؤهم في اللائحة التي اعطونا إياها.

ـ مرحباً...

واوشكت ڤاليري أن تكمل قبل أن تظهر لها الفتاة بأنها ثرثارة فتابعت:

ـ أنا هنا مع شقيقتي إلين، ونحن من كندا... لقد أنهينا لتونا جولتنا في اليابان... أليس هذا أمراً عظيماً؟

وسكتت حين رأت سائق الحافلة يتقدم حاملاً ابريقاً كبيراً جداً... فسأل ڤاليري عن رغبتها في المزيد من الشاي، فوافقت، ثم راقبت الماء المغلي وهو يُسكب في الفنجان الكبير فوق الشاي المعطر بالياسمين فقالت إيملي:

ـ يجب أن أعود الى مقعدي.. أراكِ لاحقاً ڤاليري.

رفعت ڤاليري رأسها عن الشاي الساخن فأحست بنظرة وقحة من رجل أسود الشعر لاحظت وجوده في الحافلة سابقاً. ولم تدر لماذا ازعجتها نظرته الثقيلة، وتساءلت لماذا ترتاب في كل من ينظر إليها لحظة أكثر من اللازم، بينما لم يكن هذا

يزعجها من قبل... إنه ذلك الخاتم اللعين الذي كانت مضطرة لحمله معها إذ لا خيار لها غير ذلك.

ظلت في قلق متواصل وارتباك وحذر دائمين مما أوهمها بأنها مراقبة وأن ثمة شخص يلاحقها... حتى تأكد لها في ذلك اليوم الذي زارت فيه متحف التاريخ في جامعة «سانتوتوماس» أن الزائر الوحيد في القسم الذي تواجدت فيه كان يلاحقها. وهذا ما جعلها تلزم الحذر وعدم الذهاب وحيدة في الليل. لكن هذا لم يزعجها، فقد سنحت لها الفرصة لتكتب رسائل اخبارية مفصلة لوالديها، وأخيها نيكولاس في الجامعة، وكذلك لتينا.

حاولت ڤاليري نسيان الرجل، الذي كان يراقبها، ويعلم بوجودها.. أثناء سير القطار، ركزت اهتمامها على المناظر الخارجية عبر النافذة، وتمتعت برؤية حقول واسعة، صفراء وبنية وخضراء، اشجار خضراء شاحبة، قرى صغيرة وأبنية ذات اشكال هندسية غريبة بعضها كان جذاباً... ولم تعد تعي شيئاً وهي تنظر الى اعمدة التلغراف تمر بها بسرعة... العمال الزراعيون صغيرة اجسامهم يحملون ما بدا لها اثقالاً كبيرة على اكتافهم فأثاروا اهتمامها أكثر من أي شيء في الحافلة...

انتبهت ڤاليري للسائق وهو ينظف الحافلة بممسحة مبللة، اللعنة...! أيجب أن تتجه عيناها نحو الرجل ثانية! واشاحت بنظرها، لاحظت أنه لا يضع اشارة شركة سياحية على كنزته الثمينة. إذن، فهو عكسها يستطيع أن يكمل طريقه دون أية اشارة تدل عليه، حتى في بلد غريب فهو ذو مظهر مميز ويعرف تماماً ماذا يفعل.

وتوقف القطار، فأمسكت ڤاليري حقيبة يدها والكاميرا،

www.liilas.com

ومعطفها فوق ذراعها وخرجت من القطار لتجد دليل شركة السياحة بانتظار مجموعته.

في موقف سيارات المحطة، حيث الباص بانتظارهم، جرى تعداد المجموعة... رجل القطار لم يكن بينهم. وقال الدليل:

- سنزور مدينة كوزون العاصمة الجديدة، ثم نتناول العشاء وبعدها الى المطار حيث سنطير الى سنغافورة.

كانت مصغية لما يقوله الدليل بإنكليزية مكسرة، وتنظر عبر النافذة محاولة منها للاعتياد على أصوات الأبواق المنطلقة من السيارات... تناول الركاب الغداء في مطعم يقدم الأطعمة المحلية، وكذلك عند العشاء... وتخلصت ڤاليري من عقدة البلاهة التي اشعرها بها ذينك الزوجين الملاحقين لها في الباص وكلاهما في الخمسين من عمره تقريباً، غريبان مثلها لا يعرفان شيئاً عن البلاد التي يزورانها...

رحلة الطائرة الى سنغافورة استغرقت حوالي الساعتين، حيث وجدت ڤاليري مطار سنغافورة أجمل من مطار كوزون. فلفح وجهها الهواء البارد وهم يتجهون من الطائرة نحو الباص. وصلوا الى الفندق في وقت متأخر... وعندما أعطيت مفتاح غرفتها في الطابق الثاني، كان عليها أن تتذكر أن الدليل اعلن لهم عن رحلة في الصباح الباكر، لذا من الأفضل أن تنام في أسرع وقت ممكن.

كان طعام الفطور وجبة ممتازة، فقدم لها شوكة وسكيناً، بدلاً من العيدان الرفيعة التي اضطرت لاستخدامها في الفيليبين على الطريقة الصينية. ولم تنتظر الآخرين لينهوا فطورهم بل أسرعت الى مكتب الفندق لتبديل بعض المال بالعملة المحلية.

هناك.. رأته ثانية!... رجل القطار. تقدم ليقف قربها وهي تنتظر دورها عند الصرّاف. كان طويلاً، عيناه بنيتان، أنفه مستقيم، ذقنه مربعة الشكل.. ضخم الجسم، ذو صحة جيدة يُحسد عليها...

فكرت ڤاليري ووجدت أنه من السخافة الظن بكل من يقترب منها، أنه يسعى وراء خاتم ماريسيا.. لكنها لم تتخلص من الاحساس بالخطر حولها. بالأمس في القطار، لم يرفع الرجل نظره عنها رغم تجاهلها لاقترابه منها بقامته الطويلة..

وجدت نفسها مضطرة لشكره حين تدخّل ليشرح لعاملة الصرافة ما لم تفهمه من ڤاليري وأعادت لها الشيكات السياحية. فتطوع ليقول بلهجة لا تنتمي لأية مقاطعة محددة في إنكلترا:

- وقعيها في الأسفل.

- أوه... صحيح.

لاحظت حينها بدت متلفاً زهيداً حيال الشيك الذي يحمله بمبلغ ضخم جنيه ستنظراً فوره غير مبالٍ بالمصروف أو التوفير مثلها.

خلال جولتها في الساحة الرئيسية لسنغافورة. بينما كانت منهمكة بالتقاط الصور بكاميرتها المتواضعة تراجعت قليلاً لتتمكن من أخذ صورة أشمل للساحة عندما رأته ثانية. كان يراقبها ولا تشك بذلك أبداً فقد استدار فوراً حينما لمحته...

لا بد أنه سائح مثلها قدم لزيارة الأماكن السياحية التي ينصحها المكتب السياحي بزيارتها. لذلك ستلتقط الصور سواء كان موجوداً أم لا.. كان برفقة مجموعة التقتها على مائدة الفطور... حاولت التركيز على الصورة التي ترغب في

www.liilas.com

التقاطها، علماً بأن الكاميرا لن تفي بما تريد. كررت المحاولة وهي تفكر في هذا الرجل الثقيل... وما الذي يزعجها منه.. أيمكن أن يكون لاستيائها علاقة بالخاتم؟

وسمعت إيملي تراونت تقول لها:

ـ السيد شاندرا يشير إلينا بالذهاب.

واتجهتا معاً نحو الباص المنتظر. وأخذت إيملي تثرثر:

ـ لقد التقطت صورة لقصر السلطان القديم. يقال إنه يعود الى القرن السابع عشر.

اقتربتا من الرجل فنادته إيملي:

ـ مرحباً. نحن ذاهبتان الى قصر السلطان الصيفي... ربما نراك هناك.

سألتها فاليري:

ـ أتعرفينه؟

ـ لا... لكنني أتمنى أن أعرفه... لأن لديه الكثير من الصفات المغرية.

عرفت فاليري أن للقصر الصيفي تسمية ثانية وهي «حدائق الجنة»... فهناك تعرفت لأول مرة على الهندسة التاريخية القديمة للسلطنة. كل شيء في قصر السلطان القديم كان باللون الأحمر والأخضر والذهبي، وأرضه من الرخام الأبيض... وهنا في القصر أتيحت لها فرصة التعارف بأفراد مجموعتها السياحية وهم يسيرون خلف الدليل ويتحدثون فيما بينهم عن النقوش والآثار الموجودة هناك.

كانوا يغادرون «جناح السعادة» حيث كانت تقيم «السلطانة» ونساءها، حين أحست، فاليري ثانية أن هناك من يراقبها. ولم

www.liilas.com

تستطع كبح هذا الاحساس، فالتفتت، لتجد الرجل الذي نادته إيملي موجوداً حيث قالت له. وكان واضحاً وضوح الشمس أنه لا يهتم بالآثار بل كان مركزاً نظراته الحادة عليها. ما هذا؟ أحقاً يلاحقها؟

لا تكوني سخيفة فاليري! صحيح أن هذا الرجل يبدو أنه وحده ولا ينتمي الى أية مجموعة سياحية، إلا أن هذا لا يعني سوى أنه سائح في مكان أثري شرقي أسوة بغيره من الناس، ولا بد أنها تبدو له قلقة، ومن الطبيعي لهذا أن تجذب نظره إليها...

تلاحقت هذه الأفكار بسرعة في رأس فاليري قبل أن يتقدم منها دايفد وابنه جيلبرت الأميركيين معها في المجموعة، فبدا الأب متذمراً لأن القصر يستغرق مدة أسبوع للإطلاع عليه لكن الشركة خصصت له ساعتين فقط... فقالت موافقة:

ـ الوقت قصير... مع ذلك، هذا أفضل من عدم زيارته.

وانجذب إليها دايفد وكان يلاحقها... وبدا لها طبيعياً بملاحقته لها بينما ابنه جيل يلاحق إيملي محاولاً إبعادها عن شقيقتها أليس، وبدا لها أن دايفد بحاجة لمرافقة أحد ما، لذا سعى لملاحقة الفتاة الوحيدة.

كانت بحاجة إليه، أو الى أي كان، بعد ظهر ذلك اليوم عندما زارت المجموعة البلدة القديمة ومعابدها الأثرية.. وبطريقة ما، انفصلت فاليري عن الباقين، وأحست بالضياع كما لو أنها طفلة.. لو كانت في بلدها لتمكنت من السؤال عن الاتجاه الصحيح أما هنا كيف تسأل لتعود نحو الباص المتوقف في الساحة خارج أسواق المدينة القديمة الضيقة.

حاولت أن تقاوم إحساسها بالذعر، فتضاعف شعورها بالضياع وبأنها ملاحقة، فرحبت بالفكرة. على الأقل ذلك الرجل يتحدث الإنكليزية. تسلقت لتوها بضع درجات حجرية عريضة، وعلى وشك الدخول عبر قنطرة حجرية مزينة بأحجار حمراء وخضراء وسوداء، استدارت... لكنها لم تجد أحداً. أخطأت هذه المرة لكن الاحساس عاودها وهي تتابع طريقها الى حيث تظن أن بقية المجموعة موجودة. بضع درجات أخرى، وعبر قنطرة جديدة... استدارت لتنظر وراءها، فلمحت لوناً أحمر الى يسارها... إيملي ترتدي معطفاً أحمراً. ونسيت إحساسها بالملاحقة وركضت وراء الفتاة التي ترتدي الأحمر، لتشاهدها من بعيد وقد دخلت الى أحد المباني، فلحقت بها.

ما أن دخلت ڤاليري حتى ظنت نفسها في قاعة مخزن من نوع ما... لكن ما أن تلفتت حولها والمكان معتم حتى لاحظت أن ما يحتويه ذلك المخزن هو صفوف وصفوف من التماثيل المختلفة الألوان كلها تمثل شخصيات تاريخية بلباس تقليدي. أخذت تتمشى بين الصفوف، تحدق بما حولها، وقد نسيت كل شيء أمام التعابير التي تحملها وجوه تلك التماثيل.. التي تباينت في مراحل صنعها ما بين القديم والحديث..

فوجئت ڤاليري حين اصطدمت بجسم قوي فارتعدت بينما كانت يدان قويتان تمتدان لتمسكا بها، فاتسعت عيناها لمعرفة صاحبهما... فسمعت الصوت الذي نصحها بتوقيع الشيكات في الفندق:

- ستضيعين نفسك إذا لم تنتبهي الى أين تذهبين.

اضطربت لرؤيته، فسألته متحدية:

- ماذا تفعل هنا؟

فرد ببرود:

- كما تفعلين، أصوِّر.

أحست أن يديه لازالتا تمسكان بذراعيها فقالت:

- حسناً، لا أتصور أنني سأقع لو تركتني.

رد عليها ببرود قاطع:

- قصدت إيقافك قبل أن تصطدمي بي، وليس اغتصابك.

وترك ذراعيها. فأدركت أنها تدين له باعتذار على فظاظتها فلم يعجبها ردُّه عليها بفظاظة أيضاً... ولمحت إيملي من طرف عينها فقالت له:

- أمر حسن منك!

وتجاوزته لتسرع وراء إيملي.

بعد التجربة المفزعة في الانفصال عن مجموعتها اقتنعت ڤاليري بوجوب ملازمتها. لبست معطفها وملء قلبها حماساً وهم يتجهون نحو جوهور عبر المضيق الصغير في القطار.

في هذا الوقت كان أفراد فريقها قد تعرّف كل على اسم الآخر. اتجه القطار بهم نحو المضيق حين تقدمت الفتاة الكندية إيملي لتجلس الى جانب ڤاليري:

- لو تابعت أخذ الصور على نفس الوتيرة لأصبحت صوري أكثر من ثيابي. ألاحظت أن مارك هو الوحيد الذي لا يحمل كاميرا معه؟

- مارك؟

- ذلك الشاب الفاتن التابع للفريق الآخر.. لا تتجاهلي من أعني؟ إنه ذلك الشاب الذي لأجله تهجر الفتيات أوطانها.

www.liilas.com

لم يكن صعباً على ڤاليري معرفة ما تقصده إيملي، فأملت أن لا تراه اليوم. فهي في اجازة ومن الأفضل أن يمرّ يومها بهدوء دون كدر.

ـ لقد حدثته إذن؟

ـ ليس بعد. لكن الوقت مبكر، سمعت واحداً من مجموعته يناديه مارك.

ـ لم أره اليوم!

فنظرت إليها إيملي باستغراب:

ـ لقد وصل الباص بنا قبل الباص الذي يستقله، لكنه هنا على مقعد خلفي في القطار.

ـ حسناً.. صيداً موفقاً.. ظننتكْ على وفاق مع جيلبرت؟

ونجحت المؤامرة في تغيير الحديث، إذ ابتسمت إيملي:

ـ أتصدقين أن ذلك الجرذ لم يكن يسعى ورائي، بل وراء أليس؟ لقد اسعدها هذا وأبعد تفكيرها عن أي شيء آخر... سأذهب واتحدث الى والده دايڤد.

نزل الجميع من القطار واختلط السياح مع بعضهم البعض، ولم تجد صعوبة في التعرف على الرجل الذي عرفت أن اسمه مارك، لكنها تجنبت النظر إليه وهي تستمع الى الدليل يؤكد عليهم وجوب العودة عند الثانية بعد الظهر ليستقلوا القطار الى سنغافورة.

نسيت كل شيء عنه، وهي تتجول ما بين مبانٍ شرقية وأسواق شعبية فيها الكثير مما سمعت ومما لم تسمع عنه من التحف والقماش المصنوع يدوياً من الحرائر والكتان والسجاد والبسط والنحاس المحفور والعاج. فانشغلت بكاميرتها ملتقطة

www.liilas.com

الصور من حيث يعجبها، وغيرّت فيلمها ثانية لتصور المآذن والبروج.. لم تشاهد من حولها أية فسحة خضراء، فمن الصعب أن تمتلىء هذه التلال الجرداء البنية المحيطة بالمدينة القديمة بالخضرة.

وتابعت سيرها، تضيع بين الزحام وقد نسيت أنها بالأمس صممت أن لا تفارق مجموعتها كي لا تضيع.. أوقفها سكان محليون أكثر من مرة ليعرضوا عليها تماثيل وتعاويذ قالوا لها انها مستخرجة من المقابر البوذية القديمة، لكن فكرة المقابر أرعبتها فرفضت.

هذه التجربة زادت من متعة ڤاليري ودفعها فضولها وحبُّ المغامرة الى عبور قنطرة حجرية. فوجدت بضع درجات حجرية تؤدي الى برج في سور المدينة القديم. فوضعت كاميرتها حول عنقها، وتمسكت بكلتا يديها على الجانبين، وتسلقت السلم الحجري نحو الأعلى.

www.liilas.com

فوجئت بالهواء القوي البارد الذي لفحها، فتراجعت نحو الجدار تحتمي منه ولم تكترث له كثيراً بقدر ما أثارها المنظر الذي وفره لها ذلك البرج للمدينة والميناء والتلال من حولها. وعادت برودة الهواء، وهمت بالنزول لكنها ذهلت لأنها لم تكن وحيدة كما اعتقدت.. وأفلتت منها كلمات متعجبة:

ـ ظننتك ذهبتَ مع الآخرين!

فرد مارك:

ـ إذن كنت تراقبيني، رغم ادعائك بأنك لم تريني!

ـ بما أنك فهمت الأمر، فلا بد أنك عرفت رغبتي بتجنبك.

ـ ولماذا ترغبين بتجنبي؟ كنت فظة معي بالأمس دون سبب

بينما كل ما قلته إنني امسكتك كي لا تقعي وتؤذي نفسك.

لكنها لم ترد، وحاولت تجاوزه باتجاه السلم فسألها ساخراً:

ـ هل أنت خائفة مني؟

ـ ولِمَ أخاف منك؟

نظرت إليه وهي تتكلم فغرقت في عينيه البنيتين، فأحست بقلبها يكاد أن يتوقف، ولسبب ما رغبت في الهرب. فقال لها متحدياً:

ـ أخبريني أنتِ السبب!

لم تكن قادرة أن تقول له شيئاً لأنها لا تعرف، فصاحت:

ـ دعني وشأني!

واستدارت تستجمع كل قدرتها على التركيز لتنزل السلم الحجري الشديد الانحدار، وهي تسمع وقع خطواته وراءها رغم ضجيج المارة من حولها.. ثم توقفت. ستعود من حيث أتت باتجاه المقهى الذي رأت لوحة تشير إليه في مكان قريب من البرج، وستتجاهله.. بما أنها كانت متأكدة أنه يلاحقها، إلا أنها لم تعد تراه بين السائحين.

هل غمرها شعور بالاستياء لأنه لم يكن يلحق بها؟ لأجل السماء.. إنه مجرد خيبة أمل.. رغم إحساسها بالمرارة بدت فكرة المقهى فكرة جيدة. سلكت منعطفاً خاطئاً، وتراجعت لتوها قبل أن تضيع، ووجدت أن المقهى الذي هو عبارة عن غرفة كبيرة فيها طاولات كبيرة مستديرة، قسم منه مخصص لبيع التذكارات. ولم يكن هناك الكثير من الناس، واختارت طاولة، رمت معطفها على الكرسي وعلى وشك خلع قبعتها حين

www.liilas.com

جمدت يدها على رأسها لرؤية شخص يدخل المقهى بكل عفوية.

تقدم مارك الى طاولتها.. وكأنه يعرف أين جلست. وبنفس العفوية التي دخل فيها جلس بقربها الى الطاولة، وأكملت خلع قبعتها فقال على الفور:

ـ هكذا أفضل، حرام أن تتركي هذا الشعر الحريري الجميل مغطى. قولي لي هل طبعك كطبع حمراوات الشعر؟ فهن عادة نزقات وسريعات الغضب.

وجدت أن كلمة وقاحة لا تناسب شخصاً مثله! صحيح أنها مرت بفترات بركانية خلال سنوات نموها، لكنها الآن تعلمت كيف تعد للعشرة قبل أن تتكلم. فقالت له ببرود:

ـ عادة، أستطيع السيطرة على انفعالاتي وطباعي.

ـ عظيم... هلا طلبت شيئاً بعد؟

ـ وصلتُ لتوي.

أعجبها تصرُّفه ولباقته حين سألها عما تريد، ونادى الساقي طالباً القهوة لهما معاً باللغة المحلية القديمة. وسألها إذا كانت تود تناول الطعام فرفضت. وعادت تفكر به بطريقة جعلتها تُشيح بوجهها عنه لئلا يتحسس ذلك وخشيت أن تصبح الضحية الثانية من بين المعجبات به بعد إيملي... يا إلهي... إنها حتى لا تحبه!

وسألها مارك:

ـ أخبريني... ماذا تفعل فتاة طيبة مثلك في مكان مثل هذا؟

لم تسمح ڤاليري لنفسها أن تستسلم لوقع السؤال المفاجىء

بل ردت باللهجة نفسها التي بادرها بها بالأمس:

ـ كما تفعل أنت، رغم تساؤلي عن آلة تصويرك، أم أنك كنت هنا من قبل؟

وصلت قهوتها بدون الفاتورة فهي تود معرفة قيمتها لأنها مصممة على دفع ثمن قهوتها بنفسها. وكررت السؤال عندما لم يجبها مارك:

ـ أكنت هنا من قبل؟

ـ في الواقع.. أجل. إنها رحلة تستحق أن تكرر ألا توافقين معي؟

وهذا أمر عليها أن توافق عليه، فهي بالكاد شاهدت ما يكفي في هذه الزيارة، وكانت تشعر بالسخط لأن معاودة الرحلة ثانية بالنسبة لها أمر مستحيل وسألته:

ـ أنت تتكلم اللغة المحلية كما لاحظت.

ـ بطريقة سطحية فقط.. ما الذي دفعك للمجيء في هذه العطلة وحدك؟

كان بإمكانها طرح السؤال نفسه عليه، وكانت على وشك القول إنها تتمتع لوحدها. لكنها كتمت القولين معاً. ووجدت نفسها تقول بصدق:

ـ لم أكن أقصد المجيء وحدي... لكن في آخر لحظة، لم يستطع رفيقي المجيء معي!

فجأة نسيت ما تعلمته عن ضرورة التعقل والعد الى العشرة عندما قال:

ـ منعته زوجته.. أليس كذلك؟

ـ أيها الوقح...!

www.liilas.com

لكنها قاومت غضبها لتكسب الجولة قبل أن تكمل... اللعنة عليه، فليدفع الفاتورة بنفسه... وبدت محقة بكره هذا «المارك» مهما كان اسم عائلته.

والتقطت معطفها، وعبرت المقهى.. وصلت الى الخارج وقد برد غضبها بسرعة... بالرغم من غليانها لمجرد تفكير هذا الرجل أن علاقة تربطها برجل متزوج، وصعقت لحظة لأنها لا تعرف في أي اتجاه تسير لتلحق بمجموعتها السياحية، والأسوأ من ذلك أنها لم تجد من يتكلم أو يفهم لغتها كي تسأله عن ضالتها لكنها لن تعود لتسأل مارك... هذا مؤكد وسارت أمام المقهى.

اعتمدت ممراً تسلكه فلم يؤدِ بها الى حيث تريد.. إلا أن مارك تقدم منها فأحست بأنها أفضل حالاً في حين لم تشعره بأنها تائهة.

وأعطاها الكاميرا التي نسيتها أثناء ثورة غضبها.

ـ أظنك صورتِ كل شيء... لكن يجب أن تحمليها لعل شيئاً يستهويكِ.

فأخذتها منه وتمتمت بحنق:

ـ شكراً.

ـ أرأيت كل ما ترغبين به؟

ـ أجل.

ـ إذن، سأرافقك الى حيث ينتظرنا الباص، فهل تمانعين.

وكيف يمكن لها أن تمانع؟ إنها تحتاجه.. ثم لاحظت أنه يمسك بذراعها ويسير في الاتجاه الصحيح دون انتظار موافقتها أو اعتراضها.

- سنذهب من هنا لو سمحتِ.

كان طلباً أكثر منه سؤالاً، وترك ذراعها بعد أن خطت معه. فاطمأنت لوجود من يدلها على الطريق، بدت وكأنها النعجة تسير بقربه، مع أنها لم تستطع نسيان ملاحظاته التي لا مبرر لها.

خفف مارك سيره كي تلحق به، وأكملا الطريق بصمت فليس لديه ما يقال. وسرعان ما وجدت ڤاليري نفسها في المنطقة التي افترقت بها عن الدليل، السيد شاندرا، والآخرين فاستمرت تماشيه حتى بلغا منعطف زاوية منحدرة الى الأسفل، لتجد أمامها لوحة تشير الى الاتجاه نحو محطة القطارات.

بوصولها الى المحطة، ظنت أنه بإمكانها الآن تركه، وما عليها سوى اللحاق به أو الركض أمامه... واجهتهما ريح قوية، بعثرت أفكارها وجعلتها تشهق طلباً للتنفس.. مطمئنة لليد التي تمسك بذراعها.. في هذه الأثناء لمحت باصين يعبران في مكان قريب، وهبت عاصفة ريح أخرى حاملة غبار الطرقات، فامتلأت عيناها بالرمال والغبار.

بعينين مغمضتين تماماً، تمسكت بمارك صائحة:

- عيناي.. ماذا في عيني.

وأحست أن الريح قد خفت عندما وقف حيالها يرد الهواء العاصف عنها. وقال بهدوء:

- لن أستطيع فعل شيء لك إذا لم تفتحيهما.. أية عين؟

- اليسرى!

أحست بحرارة يده على وجهها فانتابها شعور غريب صحا في داخلها حين لمستها يده وهو يدير وجهها صوبه.

www.liilas.com

وكان عليه أن يوجه لها طلباً آخر لفتح عينيها، وبمنديل كبير في يده الأخرى أخذ ينظف كلتا عينيها لتتمكن من فتحهما .. عينها اليسرى، دامعة أكثر من اليمنى، كرر تنظيفها عدة مرات، بعد أن مسح دموعها بكل رقة. حدقت به ڤاليري محاولة مقارنة لمسته الناعمة اللطيفة بالجانب العدائي الذي بدا لها منه.

ولم يتحرك... بل وقف ينظر إليها، عيناه ضيقتان وكأنه يحاول قراءة ما في عينيها وما يجري داخلها. فجأة اقترب منها وقبّل خدها ثم قال معتذراً:

- هذا لأنني أسأت إليك في المقهى.

كان لاعتذاره سحراً غريباً وفتنة لم تستطع صدّهما. ثم قبلها على خدها الآخر، وكأنه استساغ نعومتها.

- وهذه قبلة لتصبحي أفضل حالاً.

الاحساس الغريب لقبلتيه الخفيفتين، أثار صراعاً في داخلها تمنت أن لا يلحظه، فقالت بهدوء:

- شكراً لاعتنائك بعيني...

حاولت أن تتذكر أنها غير معجبة به، وأن اعتذاره لا معنى له ولا يعني أنه لم يقصده، فأكملت:

- ... أما قبلاتك، فاحتفظ بها لمن يرغب بها.

وتجاوزته بغض النظر عن عاصفة الغبار الثائرة أمامها وركضت نحو الباص لتحتمي بداخله.

غصّ الباص بالسائحين الغربيين والشرقيين الذين احتموا بسرعة هرباً من الريح. ولكن ليس فيهم من ينتمي لفريقها أو فريق مارك.

انطلق الباص برحلته القصيرة الى محطة القطار، لم تكن فاليري بعد قد تغلبت على المشاعر التي أثارها فيها عندما لامست يداه وجهها، ولامست شفتاه خديها. صحيح أنها جربت مثل هذا من قبل.. لكنها لم تتذوقه كما الآن!

أوه.. كم هو مزعج أن تشعر بالنشوة تجاه شخص لا يعجبها ولا بد أن حاجة جسدها تلعب لعبة لا علاقة لها بالمشاعر. نزل الجميع عند المحطة، ونزلت فاليري بدورها، وتأكدت أن لديها ساعة من الوقت قبل أن يصل فريقها. تدثرت بمعطفها جيداً، وأخذت تتفحص المجموعة علها تجد من تعرفه، غير مارك. فبدا لها كل اثنين، اثنين يتبادلان الحديث الحميم، ولم تجد أمامها ملجأ من الهواء العاصف غير مبنى المحطة عبر الشارع.

اجتازت الشارع حتى بلغت جانب الجدار حيث بإمكانها رؤية كل الباصات القادمة عبر ذلك التل نحو المحطة، وقد يكون باص مجموعتها من بينها. هي ترتكز على الجدار، سمعت صوتاً بدأت تألفه:

- سيغطيكِ الغبار لو بقيت هنا.

نظرت إليه، ولم تجد غيره رفيقاً، بعد أن ابتعد الجميع عن مهب الريح. ولم يعد سواهما في المنطقة كلها. وقال لها:

- تعالي.. ولا تعاندي! لِمَ لا تكونين سائحة متعاطفة.

- متعاطفة؟

أهناك ضير في أن يكون المرء سائحاً لطيفاً.

- هل نفذت منك الأفلام؟

ظنته يسخر منها... وهمّت برد لاذع، لكنها سحبته في

www.liilas.com

اللحظة الأخيرة. فقد تذكرت أن لسانها اللاذع لم يردعه عنها، فسوف تحاول أن تضجره بظلها الثقيل.

- في الواقع لدي الكثير منها.. اشتريت أعداداً كبيرة في مانيلا.. ما اسم المكان الذي اشتريتها منه؟ لا يهم... أعرف أين يقع إذا احتجت المزيد عندما نعود.

بدا الضجر على وجهه، لكنها لم تنته منه بعد:

- لكنني مضطرة لصرف بضع شيكات سياحية أولاً.. لقد صرفت آخر عشر دولارات معي...

وتوقفت بعد أن لاحظت الاهتمام الظاهر على وجهه.. أهو اهتمام؟ أم أن محاولتها للتخلص منه باضجاره جعلته يتسلى أكثر برفقتها؟ مهما تكن ردة فعله، فقد أحست أنها بلهاء لمحاولتها هذه.. وسألها:

- أتقفين هنا في انتظار أحد؟

- أنتظر رفاقي.

- لن يصلوا قبل ربع ساعة... إذا كانت كاميرتك جاهزة فلماذا لا تلتقطين صورة لذلك الجمل؟

- أي جمل؟

- هناك.

ونسيت غضبها منه وهي تنظر الى الجهة التي أشار إليها، لتجد خلف حائط خشبي فوق أرض وعرة، جملاً ذي سنامين لم تشاهد مثله من قبل. وتقدمت معه مبتعدة، لا تريد أن يساعدها في شيء. وركزت الكاميرا وجعلت الشمس خلف ظهرها... انها لقطة جميلة.. مع الفسحة الخضراء في هذا الجزء من الجزيرة...

مد مارك يده إليها:

ـ اعطني الكاميرا وسألتقط لك صورة مع الجمل.

نسيت أنها لا تحبه وهي تعطيه الكاميرا:

ـ ستحب والدتي هذه الصورة.

بالرغم من محاولاتها لم تستطع الابتسام له لكنه قال لها: «انظري ذاك العصفور» فضحكت والتقط الصورة.

أخذت منه الكاميرا مؤنبة نفسها على ودادها معه ثم قالت:

ـ سأذهب لأتأكد من وصول الباص.

والتفتت بسرعة مبتعدة عنه لكنها تعثرت وكاد وجهها أن يلامس الأرض لولا أن سارع باسطاً ذراعيه لنجدتها. مثل هذه المآزق جعلتها تنسى عدائيتها له وتتعلق به وهي تكافح لتستعيد توازنها.

كان مارك مازال يضمها حين تأكدت أن السماء لازالت فوق رأسها، والأرض لازالت ثابتة تحت قدميها. وأن ساقيها لازالا يحملانها.

www.liilas.com

ـ شكراً لك!

وأحست بوجهه يقترب منها، لكنها أصبحت تعرف هذه اللعبة:

ـ لا داعي لتقبيلي كي أشعر بالتحسن، فأنا لم أؤذِ نفسي.

فتنهد وأنزل ذراعيه الى جانبه:

ـ سأوفر هذا الى موعد آخر.

ـ عندها ستكون محظوظاً جداً.

دون أن تتكلم، سمحت له أن يقودها عبر الطريق، لمجرد أنه يعرف أكثر منها الى أين يذهب، وسمحت بأن يرافقها.

عندما وصلا الى المبنى الذي ظنته كوخاً للعمال، فوجئت بيافطة كتب عليها بالإنكليزية «الزوار الأجانب، قاعة الانتظار».

فنفضت يده عن ذراعها واستدارت نحوه غاضبة:

ـ كنت تعرف جيداً بوجود هذا المكان!

ـ وهل أحرمك من التقاط صورة للجمل؟

وحده الاعجاب كان بادياً عليه وهو ينظر الى وميض عينيها الخضراوين غير متأثر بغضبها.

استدارت بعنف نحو الباب قبل أن ترضخ لرغبتها في صفعه.

تفحصت ڤاليري مَنْ حولها، فوجدت إيملي. قصدتها، وعلمت أن مارك لم يلحق بها:

ـ تعالي، اجلسي، سأحضر لك فنجان شاي.

ولم تنتظر الفتاة أي رد... وتقلّص غضب ڤاليري وتلاشت حمرة خديها. وسألت إيملي وهي تقدم لها فنجان الشاي:

ـ أين الآخرين؟

ـ إنهم كسالى... ينتظرون الباص بينما أنا جئت سيراً على قدمي.

أحست ڤاليري بالغبطة لجلوسها وحدها في رحلة العودة بالقطار. صحيح أن مارك موجود في الحافلة، إلا أنها لم تشاهده... حمداً لله! بينما أخذت تفكر ما الذي دفعها لصب جام غضبها عليه... ومن هو هذا المتكبر المغرور؟ هذه الأفكار أوصلتها الى طريق التساؤل عما إذا كان جاسوساً، فهو يتحدث لغة البلاد بطلاقة ويدّعي معرفتها معرفة سطحية.

وانتفضت مخيلتها نابذة كل الأوهام فالجواسيس عادة

أشخاص عاديو الجسم والشكل بينما مارك شخصية ضخمة الجسم، مميزة ويمكن أن يراه الناس أينما ذهب فهو يتمتع بهالة لا يمكن لأحد أن يتجاهلها. . .

إذن لا بد من سبب لتواجد مارك هنا فضلاً عن التعرف الى معالم البلد. لقد اعترف سابقاً أنها ليست زيارته الأولى. حاولت فاليري كثيراً لتجد له عذراً أو مبرراً فلم تتوصل لما يقنعها. . .

بعد ظهر ذلك اليوم، أتم السائحون جولتهم في المدينة القديمة والقصر السلطاني. . . وكان لوجوده، تأثيره على فاليري فقلّص كثيراً من حرية انجذابها تجاه كل ما حولها، حتى كادت تنساق نحو فريقه مبتعدة عن زميلاتها غير أنها انتبهت لنفسها في اللحظات الأخيرة من وقوفها أمام تمثالين حجريين رائعين لأسدين يحرسان مدخل «قصر السعادة».

في الصباح التالي بينما هي الى مائدة الفطور تذكرت أنها لم تحضر معها الكاميرا من غرفتها، فمن عادة الجميع الانطلاق بعد الفطور دون العودة الى غرفهم.

توجهت الى مكتب الاستقبال لتأخذ مفتاح غرفتها، فلم تجده. فظنت أن عاملة التنظيفات ترتب غرفتها فقصدتها عبر السلم المؤدي إليها وما كادت تستدير في الممر حتى وقفت مذهولة حين رأت مارك يهم بالخروج من غرفتها ويتحدث الى عاملة التنظيفات. لمحها وتجاهل وجودها متابعاً حديثه الى العاملة بكل جرأة. . . قاطعتهما فاليري بسرعة لتسأل مارك بحدة:

ـ أكنت في غرفتي؟

ـ في غرفتك؟ وماذا أفعل في غرفتك والجميلة في الخارج؟

ـ توقف عن هذه المهزلة! ألم تكن في الداخل؟

لاحظت أن المرح غادر وجهه بعد أن تأكد أنها جادة. ولم يستجب لاتهامها بلطف بل قال بحدة:

ـ لمعلوماتك، كنت ماراً ببابك عند خروج العاملة منه. ولم أكن أعرف أنني بحاجة لإذن منك قبل أن أكلمها.

عضت فاليري على شفتها ليقينها أنها بدت غبية أمامه، ودخلت الغرفة لتصفق الباب وراءها بعنف. . . أوه! . . يا إلهي! ما هذا الرجل؟ ما الذي يحدث لها؟

إستُجيبَ دعاؤها عندما خرجت من الغرفة ولم تجد أحداً. وسعدت للفرصة المتاحة لها الآن لنسيان ما حدث قبل أن ترى مارك ثانية. وانضمت الى الآخرين. . . أوامر اليوم: قصر جديد، ومعبد جديد.

عندما عادوا الى الفندق كانت فاليري قد نسيت ما حصل. . . رغم أنها لم تتخلص من إحساسها بالمراقبة ولو أنها لم تلتق مارك ذلك اليوم.

كانت في غرفتها تكتب بطاقات بريدية عندما دق الباب. فتحته. . . واعتبرت أن الحظ قد خانها حين وجدت مارك يقف أمامها. فسألته بحدة، محاولة انكار مدى جاذبيته:

ـ حسناً ماذا تريد؟

تلاعبت بسمة على أطراف فمه:

ـ كفي عن الادعاء بأنني لا أعجبك. وتعالي نتناول الشراب معاً.

يا للشيطان الوقح! وردت بحلاوة:

www.liilas.com

ـ شكراً لك... لا

ـ أتظنين أنني أدعوك الى شقتي لاغوائك؟

احمرّ خداها وأربكتها الدعوة... وكادت أن تغلق الباب في وجهه، عندما سمعته يقول إنها مخطئة:

ـ في الواقع... بما أن رأيك بي دون المستوى، أنا أكثر لطفاً من هذا. كنت أطلب منك تناول الشراب معي في المقصف تحت.

ـ مقصف؟ هذا الفندق لا يحتوي على مقصف.

ـ ليس بالمعنى الذي تفهمه... بل أن غرفة الطعام تستخدم كمقهى ولقد وجدت أكثر من عشرة أشخاص هناك عندما ألقيت نظرة قبل لحظات.

احرجها كلامه، وتابع بغطرسة:

ـ ألا ترين أنه لا حاجة لك لأفكارك السخيفة.

www.liilas.com

رفعت رأسها بحنق: كيف يجرؤ على القول أن أفكارها سخيفة؟ خطواته تلاحق خطواتها أينما ذهبت.. قبلها مرة وحاول مرة أخرى وقال إنه سيوفر قبلاته لوقت آخر!

وقالت متحدية:

ـ أتحاول القول إن فكرة اغوائي لم تدخل في مخيلتك؟

فرد ساخراً:

ـ أتعنين أن هناك فرصة؟

فصاحت، دون أن تهتم لوجود من يسمعها أم لا:

ـ لا! ليس هناك أية فرصة!

وصفقت الباب في وجهه.

من يظن نفسه هذا الشيطان حتى يغضبها. لعله معتاد على

إيقاع النساء في حبائله مثل الدمى، لمجرد اشارة من اصبعه حتى يرتمين في فراشه.

بعد نصف ساعة، ذهبت الى سريرها وقد تلاشى غضبها مقتنعة بأن رجلاً مثل مارك لا تخلو حياته من النساء، حسناً... لا يظننّ نفسه قادراً على ضمها الى تلك الحفنة النسائية السعيدة!

وما يضيرها أن يكون محاطاً بالنساء.. ضربت وسادتها ورقدت لكن النوم اضاع طريقه الى عينيها...

• • •

٣ ـ لست متزوجة

في الصباح التالي زارت ڤاليري وفريقها مجمعاً صناعياً لصناعة التنك وتعليب الأناناس... بعد الجولة دعتهم الادارة لشرب الشاي في «كانتين» المجمع، وسُمِحَ لهم بطرح ما شاءوا من أسئلة للإيضاح.

ثم أخذهم الدليل السيد شاندرا، الى المطعم للغداء، الذي كان عامراً بما لذَّ وطاب من المآكل والعصير.... سمعت ڤاليري شخصاً يسأل:

ـ الى أين سنذهب بعد الظهر؟

فرد شخص آخر ساخراً:

ـ الى معبد آخر.

وقال السيد شاندرا بعد وصولهم الى المعبد:

ـ إنه معبد السماء، أقامه أحد أباطرة البوذيين الذين حكموا الجزر من القرن التاسع حتى الرابع عشر... وقد بني هذا المعبد خصيصاً للأباطرة كي يمارسوا فيه عباداتهم... وستزور أولاً «قاعة الصلاة».

ولحق الجميع بالسيد شاندرا الى مبنى مستدير متعدد الطبقات له ثلاثة أفاريز بارزة زرقاء قاتمة، على رأسه قمة

ذهبية. يحيط بالمبنى ثلاثة صفوف من الاعمدة المنحوتة البيضاء على ثلاثة ارتفاعات، يصل بينها ثلاثة سلالم رخامية. عظمة القاعة أنها شُيِّدت منحنية دون استخدام فولاذ أو حديد أو اسمنت لا تستند إلا الى أعمدة خشبية ضخمة.

وأخبرهم السيد شاندرا أنه لو وقف أحدهم في الوسط وهمس بشيء فسوف تردد الاعمدة صداه ثم يدور ليسمعه من حوله بوضوح، لكن الهامس نفسه سيسمع الصدى أكثر من غيره.

وقالت إيملي:

ـ دعوني أجرب! «قطتي الصغيرة.. بيضاء كالثلج».

ما أن تلفظت بمطلع الازوجة الصغار هذه، حتى صاحت:

ـ هذا أمر صحيح.

وتدافع الجميع للتجربة والهمس ثم الاستماع الى الصدى.

كانت الشمس قد شارفت على الغروب عندما نزل الجميع سلم المعبد المستدير المرتفع. لكن ڤاليري قررت أن تتأخر قليلاً لتجرب الهمس والصدى الذي فاتها. فتسللت الى الوسط لتهمس:

ـ الدموع الصامتة تتساقط بنعومة خلال الليل!

لكن الصدى رد عليها:

ـ ولكن عند الصباح يكون فوق كل وردة دمعة... فلتكن السماء معك!

فاستدارت برعب زاده الاحساس بالفزع الذي أثاره فيها مارك قبل أن تتعرف عليه في عتمة المكان. كان قربها، ولا أثر لبقية مجموعته. وسألها بلطف:

www.liilas.com

ـ ألا زلتِ غاضبة مني ڤاليري باريت!

لا تدري! أحست بالارتباك فجأة:

ـ كيف تعرف اسمي الكامل؟

ـ أتدعين أنك لا تعرفين اسمي؟

ـ لا أعرف اسم العائلة.. مارك.. هذا كل ما ذكرته لي إيملي.

ـ أمر عظيم.. هل أنت حقاً تلك الشابة البريئة التي تحاولين اظهارها؟

ـ ماذا تعني؟

ـ أتريدين أن تُملي عليّ بألاعيبك وأن أصدق بأنك ڤاليري التي كان عذرها الوحيد في السماح لي بالتقاط صورتها لأنها ستعجب أمها؟ ڤاليري التي تتكبّد مشقة شراء تبغ لأبيها لأنه يفضله؟

أحست بالارتباك حين ذكرها بوالديها وهي في إجازة. فحدقت به في العتمة.. ثم ارتعشت ثانية لمتابعته القول:

ـ هل أنت تلك الشابة التي تحاول ترسيخ الانطباع بأنها حذرة تجاه أمور بسيطة. وتدعي الفضيلة والرومانطيقية؟

ـ ما الذي تعنيه مارك؟

ما الذي يحدث لها فيُبقيها هادئة حيال أسئلته المريبة؟

اقترب منها وهي في خضم حيرتها، وأكمل بصوت رقيق:

ـ من الممكن أن تكون بيننا علاقة!.. وأنت تعرفين هذا.

ـ لا أظن أنك تعجبني.

ـ لست مضطرة للإعجاب بي... ولا يمكنك انكار التجاذب بيننا...

حاولت أن ترد بكلمات تنكر فيها ادعاءه، لكنها لم تجد:

ـ أنا... ما.. ماذا تعني بقولك... حول أنني لست كما تراني؟

كان رأسه ملتصق برأسها عندما همس:

ـ ألا تعرفين؟

وقبل أن تجيب على سؤاله... خاطفها بقبلة مثيرة على خدها.

شيء ما فيها أراد المقاومة، أراد أن يضربه ويصيح به أن يبتعد عنها ويكف عن هذه التفاهات... رغم تحسسها للمسته السحرية. ضربته بقبضتها على كتفه استعداداً لدفعه... لكن يدها امتدت الى عنقه. أحست بالحرارة الخانقة تزداد ويداه تستديران فوق جسدها ليضمها إليه.

وأخذت تستجيب لعناقه، وازدادت شدة التصاقهما، فهاجمها إحساس بالرغبة.

وسمعت صوتاً يناديها، صوت أنثى، فافترقا. وتمتم مارك:

ـ يبدو أنهم يفتقدونك.

اقبلت إيملي نحو الطيفين المتلاصقين وسألت:

ـ ڤاليري! أهذا أنت؟

ـ أنا قادمة.

ـ هيا إذن.. فعشاء البط في الانتظار والجميع قلق عليك.

التفتت ڤاليري الى مارك:

ـ وداعاً..

وسارعت تنزل السلم خلف إيملي التي سألتها:

ـ أهذا مارك الذي كان معك.

www.liilas.com

- أجل.

فقالت إيملي، واليأس أصبح على بعد نظرة منهما:

- أيتها الخيبة... ها قد أسقط واحد آخر من قائمتي!

تناولوا عشاء البط المطبوخ على الطريقة المحلية في مطعم قيل إنه شهير بصنعها. بالنسبة لفاليري، أكل البطة دون التعرف إليها أمر عادي... أما أن توضع على المائدة دون أن يفصل رأسها عنها فهذا أفسد شهيتها للطعام. لكن ما جرى بينها وبين مارك هو السبب الحقيقي في افساد شهيتها، وعليها أن تعترف بهذا القدر. فمارك لم يظهر تردداً كبيراً نحو علاقة حميمة أكثر بينهما، رغم شكوكه حول حقيقتها، فلقد أعجب بها.

وماذا عن فاليري؟ المشاعر التي أثارها فيها شتت أفكارها. لكنه من الغباء المطلق الاستسلام لمثل هذه المشاعر.. فأية أسس يمكن أن تكون بينهما ولأي نوع من العلاقات؟ وقد داهمها الوقت فما بعد الغد ستعود الى مانيلا.. ولن تراه.

كان الوقت لا يزال مبكراً عندما عادوا الى الفندق.. وحبست فاليري نفسها في غرفتها، وهي تعلم أنه لو قرع بابها الليلة، فلن تجد الجرأة الكافية للرد.

في المساء التالي، وبعد قضاء يوم حرّ في المدينة للتبضع وشراء التذكارات، ذهبت فاليري وفريقها الى حفلة غنائية فولكلورية تقام في ملعب رياضي مقفل. ودخلت الى الصف الذي ستشغله المجموعة، لكنها تركت مقعداً لتشغله إيملي قربها. واستمر توافد السياح الغربيين حتى تعرفت الى واحد من مجموعة مارك. إذن هو هنا..! لكن أين؟

- مرحباً فاليريا باريت.

www.liilas.com

جاء مارك من حيث لا تدري، وجلس بكل هدوء في المقعد الذي وفرته لصديقتها:

- مجموعتك في الأسفل هناك.

- لكن المشهد من هنا أفضل.

برودته دفعتها للالتفات إليه.. عيناه مسمرتان بها نظراتهما زائغة ما بين وجهها وفمها، وارتسمت ابتسامة على فمه وكأنه يتذكر ما كان بينهما بالأمس. وخفق قلبها، ثم قالت بصوت مرتجف:

- لقد تدبرت أمر جلوسك هنا عمداً.

- وهل يغضبك هذا؟

لم يغضبها هذا! إلا إذا حاولت خداع نفسها بأنها ليست معجبة به...

لحسن حظها أن الفرقة الموسيقية أنقذتها من الرد عندما بدأت بالعزف. فاستدارت أمامها، متجاهلة وجوده بقربها، مركزة اهتمامها على ثنائي بلباس فولكلوري يغنيان معاً وسط ديكور مسرحي مبهرج الألوان. لكن الجمهور لم يكن متقيداً كثيراً بما يشاهد، فقد كان يدخل ويخرج ساعة يريد، والمحليون يتناولون الفاكهة والحلوى والشوكولا وهم يتفرجون... وكان السيد شاندرا يجلس وسط المجموعة يترجم لهم ما يجري. لكن فاليري كانت بعيدة عنه ولم تسمع ما يقول.

كان المسرح مضاءاً كلياً ولم تطفىء أنواره أثناء تقديم الوصلات، إلا أنه أظلم فجأة وتركز ضوء أخضر ساطع على المسرح فتقدمت امرأة نحو الضوء وبدأت بالرقص التعبيري.

في تلك اللحظات، بدأت فاليري تحس بوجود مارك الى جانبها. ليس لأنه يتحرك... بل لأنها أحست بشعور حميم معه، فمعطفه كان على ركبتيه يلامس ساقيها، وأحست بالتوتر... وتمنت أن تضاء الأنوار ثانية.

وتقدم مغنٍ آخر، فأطفئت الأنوار.. وأخذ السيد شاندرا يترجم لهم كلمات الأغنية، وبملاحظته أن فاليري لم تكن تسمع الترجمة، تطوع بها مارك مترجماً.

- إنه يغني عن فتاة شاهدها ويريد التعرف إليها.. يقص قصة فتاة تدعي أنها لا تريد أن تتعرف إليه، لكنه يظن أنها راغبة. بشرتها الجميلة تبهج عينيه، جسدها يخجل آلهة الجمال.. دقة أنفها تسحره وتغريه فتنة شفتيها.

كادت فاليري أن تنسى المغني وأنغام صوت مارك تملأ أذنيها، الى أن قال:

- لم يشاهد في حياته عينين خضراوين رائعتين كعينيها، ولا شعر أحمر برّاق يجعله يرغب في دفن وجهه فيه...

فجأة استدارت، لترى أنه يحدق بها، فسألته:

- أتغازلني؟

لا يمكن لهذا المغني المحلي أن يغني لخضراء العينين ولا لحمراء الشعر من بنات وطنه؟ وتابع مارك:

- وللفتاة تفكير سليم بقدر جمالها.

انتهت الحفلة، وبدأ الجميع بالخروج، ووقف السيد شاندرا لتقف المجموعة معه... فأمسكت فاليري معطفها لترتديه، فأحست بيدي مارك تساعدانها، وكانت على وشك شكره عندما أمسك بكتفيها ليديرها نحوه.

- لن أدعك تلتقطين برد الليل.

وبدأ يزرر لها المعطف قبل أن تستدير. وأدخل الأزرار في مكانها بسهولة وأصابعه تلامس جسدها... وارتجف قلبها رغم علمها أن لمساته لم تكن مقصودة. فسارعت تقول:

- سأقفل ما تبقى.

فقال ببرود:

- لا تفقدي صبرك، فأنا أسرع بقدر ما أستطيع.

بعد أن انتهى شكرته، ثم استدارت، ليظهر الذعر عليها لأنها لم تشاهد أحداً من مجموعتها، ولم تعرف في أي اتجاه ذهبوا. فصاحت:

- لقد ذهبوا!

- لا داعي للخوف.

فقالت بسرعة:

- أضيع بسهولة في الأمكنة الغريبة.

وأخذت تركض في الاتجاه الذي تظن أنهم اتجهوا إليه فوضع يده على كتفها:

- لِمَ العجلة؟ سينتظرونك.

- لكنني لا أعرف أين هم!

- سأساعدك وإذا ساء الأمر، ترافقينني الى مجموعتي، حتى لو اضطررتِ للجلوس على ركبتيّ إذا لم يتوفر لك مقعداً.

لكنها لم تجد ما يوجب الابتسام:

- وإذا لم تلحق برفاقك؟

- تُقلّنا سيارة أجرة.

فردت بعناد:

www.liilas.com

- أود الذهاب بالباص.

بعد أن خرجا من المدرج، لاحظت أنه على علم وثيق بكل الاتجاهات ومؤداها... إذن هو يستحق الثقة... بضع دقائق وكان قد أوصلها الى باب الباص. فاستدارت لتشكره من كل قلبها.

- شكراً لك مارك.

- في أي وقت.

عبر الممر بين المقعدين استوقفتها إيملي قائلة:

- بكل تأكيد سأضطر الى شطب اسمه من على لائحتي.

ثم نسيت ما كانت تقول لتصيح:

- هاي، انظروا... كل الدراجات الهوائية هنا بدون إنارة.

فسألت إحدى السائحات:

- أتساءل ما هو معدل الحوادث من جراء ذلك؟

لم تسمع فاليري إجابة السيدة شاندرا، لأنها كانت مستغرقة في التفكير متصارعة مع سيل من التساؤلات حول حقيقة شعورها تجاه مارك... فلماذا تشعر بوجوده طوال الوقت؟ ولماذا تُظهر بأنها تكرهه؟ وما سبب قلقها وخوفها الدائمين؟ ربما أدركت أخيراً بأنها تحبه...

استيقظ الجميع باكراً في اليوم التالي ليقلهم الباص الى المطار، حيث ستنطلق بهم الطائرة بعد توقف قصير في مطار كيناباليو الدولي في ماليزيا. ثم تكمل رحلتها باتجاه كوزون في الفيليبين، وبعدها الى هونغ كونغ.

كانت فاليري متعبة، فهي لم تنم ليلة أمس قلقة بشأن علاقتها بمارك... فجأة لمحت شخصاً من فريق مارك فخفق

www.liilas.com

قلبها وتجدد أملها باللقاء... وتأوهت... وما فائدة الآهات؟ ها هو مارك!.. إنه من النوع الذي يبحث عن المتعة المؤقتة التي تتيحها الرحلات الجماعية... لكنها لا تريد هذا النوع من العلاقات، بل تريده أن يستمر الى ما بعد العطلة... أن يكون الى الأبد..

تجاهل مارك وجود فاليري وتجنب محادثتها مضمراً شيئاً ما...

جلست إيملي الى جانبها في الطائرة الصغيرة وجلست شقيقتها مع جيلبرت... وقالت إيملي بمرح:

- حسبتك ستجلسين قرب مارك.

- إنه ليس من مجموعتنا.

- وما الذي يزعجك.. هل تشاجرتما؟

- لا.. لا شيء من هذا.

- أتريدين أن أذهب وأخبره بوجود مقعد شاغر قربك؟

- لا!

- حسناً.. حسناً... لا تغضبي! حاولت مساعدتك فقط... أخبريني كيف تجرأتِ على مخاطبة أجمل عازب رأيته في حياتي.. لقد بدوتما رائعين معاً.

كانت فاليري تعتقد أن مارك رجل متزوج... حتى فوجئت بما قالته إيملي:

- عازب؟

- وهل أخبرك بأنه متزوج؟

نفت بإيماءة من رأسها، فتابعت إيملي:

- جيد... ظننته يكذب عليّ يوم سألته عن عدم اصطحابه

لزوجته.

- وماذا قال لك؟

- لقد أعطاني إحدى ابتساماته الساحرة وقال إنه غير متزوج، لكنه بنفس السحر قال لي أن ابتعد عن طريقه لأن لديه «أشياء أخرى» يهتم بها. . . وأظنك أنت تلك «الأشياء الأخرى». لكنني لم أفهم هذا حتى رأيتكما معاً في المعبد.

نزعة الكبرياء منعتها من الاعتراف بأنها رأته في مطار «كيناباللو». . . وركزت اهتمامها على ما يقول دليلهم الجديد خلال زيارتهم السريعة بالباص للمدينة. . . قد يكون مارك على نفس الطائرة التي ستقلهم الى كوزون لكنها في قرارة نفسها قد ودعته الوداع النهائي.

في الباص، تبادل أفراد البعثة العناوين والوعود بالمراسلة. . فمن مطار كيناباللو سوف يتفرقون، البعض سيذهب الى هونغ كونغ والبعض سيمضي ليله في ماليزيا ليطير في اليوم التالي الى بلاده، والقليل سيكمل مع فاليري الى الفيليبين. . . إنها لا تعرف أين يسكن مارك في إنكلترا، ولا ماذا يعمل، حتى إنها لا تعرف عنه شيئاً. . . مع أنها أحبته. فالعقل غالباً ما يضعف عندما يتولى القلب السلطة.

وصل بهم الباص الى المنتزه العام، وتفرق الجميع في كل اتجاه. المكان هادئ، هنا بعيداً عن ازدحام السيارات وأصوات الأبواق في الشارع وتهادت موسيقى ناعمة في كل أرجاء المنتزه عبر مكبرات للصوت منتشرة فوق الأشجار. . . وتقدمت فاليري تتفرج على بركة لفتت انتباهها. . . والى جانبها نوع من شجيرات الزهر، لم تكن تعرف نوعها، فاقتربت من سلّم

اسمنتي تتفحص شكلها، وتقلب أوراقها في كل اتجاه. . فهي لم ترَ من قبل أوراق شجر من جهة خضراء لامعة ومن جهة ثانية حمراء فاقعة.

فتحت حقيبة الكاميرا والتقطت عدة صور من مختلف الزوايا للشجيرة. ثم اقتربت لتلتقط صورة قريبة للورق، فأحست بوجود شخص ما، فالتفتت لتجد مارك واقفاً عند السلم ينظر إليها مودعاً.

ثم أدركت بعد أن ابتعدت عنه، إن الممر الذي سارت فيه لم يعد ظاهراً لها. كتمت خوفها يقيناً منها بأن الباص لن يتحرك من مكانه دونها. . . نسيت مارك. وسارت الى الأمام، كانت واثقة أن مدخل المنتزه هو في الجهة المقابلة لها.

وبانَ لها المدخل. . . مدخل آخر غير الذي قدمت منه. . . كان له بوابة حديدية، والى جانبيه رجال بأزياء عسكرية، وفي وسط قبعاتهم شارات ذهبية.

خارج البوابة وجدت نفسها في شارع عريض، فنظرت الى الشارع لتجد الباص يقف على مسافة غير بعيدة، وتفحصت ساعتها، باقٍ لها نصف ساعة من الوقت. . ستكون أول الواصلين. . لكن ما أن أخذت تقترب، حتى لاحظت أن الباص لا يشابه ذاك الذي أقلها من المطار. كما أن معطفها لم يكن فيه. . مما أكد لها إنه ليس باصها السياحي الذي سيعود بها الى المطار. . . بما أنها وصلت الى هنا، فمن الأفضل أن تكمل الى المنعطف الآخر باحثة علها تجد باصها.

أحست بوخز في جسمها نتيجة سرعتها في المشي، لكنها لم تجد شيئاً. . إذن عليها العودة، وتجاوزت الباب الذي

www.liilas.com

خرجت منه لتبحث في الاتجاه الآخر. نظرت الى ساعتها، لقد تأخرت نصف ساعة، لكنها تذكرت أن الدليل قال إنهم سيتناولون الغداء قبل عودتهم الى المطار، ستلقي نظرة عبر المنعطف القادم... لكنها لم تجد الباص. فاقترت بفشلها وعلمت أنها لن تجد جماعتها... وأن عليهم البحث عنها.

تذكرت أن والدها كان يقول لها «عندما تضيعين.. حاولي دائماً العودة الى نقطة الانطلاق... حيث يمكن للذي يفتش عنك أن يجدك هناك».

إذن من الأفضل أن تعود الى داخل المتنزه. وتوجهت الى البوابة التي خرجت منها فوجدت في طريقها فتحة كان يمكن أن تعيدها الى داخل المتنزه، لكنها لم تجرؤ على سلوكها.

أخيراً بلغت البوابة الحديدية وعندما حاولت فتحها وجدتها مقفلة. أحست بالاحباط نتيجة سوء حظها وتسرُّعها.

في تلك اللحظة، قررت العدول عن فتح البوابة للخروج منها. تذكرت الفتحة الأخرى التي مرت بها.. إذن عليها أن تخاطر بالدخول إليها...

قادتها الفتحة الى الداخل، وأحست بارتياح خفيف حين وصلت أخيراً.

مرت عبر الأشجار المرتفعة، والقلق يرافقها... سمعت الموسيقى التي سمعتها من قبل، فأبقت حواسها متيقظة لما حولها وهي تتابع سيرها. ثم توقفت الموسيقى.. فتسمرت مكانها. فقد تبع ذلك رسالة مذاعة بالإنكليزية... ولعلمها أن الآلات قد تغيّر الأصوات، إلا أنها تعرف هذا الصوت أينما كانت.. إنه صوت مارك.

www.liilas.com

غمر الذهول فاليري عندما سمعت مارك يناديها باسمها ويلفتها بعد كل المسافات الطويلة التي قطعتها. عادت لتسمع صوته، فأصغت إليه بانتباه: «لا تجزعي فاليري... لن يغادر الباص من دونك».

كادت تنفجر بالبكاء لسماع صوته، لكنها لن تنهار الآن، يجب أن تستمع الى تعليماته: «هناك بضع أماكن يمكن لك أن تتذكريها بالرغم من تشوشك الآن. توجهي الى السلم الاسمنتي الكبير حيث شاهدتني آخر مرة... تعرفين أي سلم أعني... قرب النبتة ذات الأوراق الخضراء والحمراء. ولا تقلقي إذا لم تجديها.. ابقي في المتنزه.. وسأفتش عنك حتى أجدك».

سارت فاليري ما يقرب الخمس خطوات ثم توقفت، فعلى الرغم من اعتقادها انها تسير في الاتجاه الصحيح، فقد تكون مخطئة.. تحركت بعجلة نحو ما يبدو لها اسمنتياً. درجة.. درجتين، ثلاثة، وها هي شجرتها.

حثت خطاها على السرعة رغم شعورها بالتعب والارهاق... ثم خففت سيرها بعد خروجها من بين الاشجار، وكادت الدموع تنهمر من عينيها مرة أخرى.. لقد كان مارك يتقدم نحوها من الجهة الأخرى.

ارادت أن تصرخ باسمه «مارك!» فخانها صوتها، ولم يخرج منها سوى همس لم يسمعه أحد... وبالتأكيد لم يسمعه الرجل الذي تحبه والذي لم يلمحها بعد. وصاحت ثانية «مارك!» وسمعها هذه المرة.

التفت إليها فوجدها شاحبة الوجه، خافقة القلب قلقة، وسترتها على ذراعها.. خطوات قليلة وصار بقربها. وسمعته

يقول بلطف دفع بالدموع التي كانت تتالبها الى عينيها:

- حبيبتي المسكينة...

فصرخت:

- مارك!

واحست بوجوده انها أقرب ما تكون الى الجنة، بعد أن ضمها بين ذراعيه ولم تشعر كم بقي رأسها على صدره، بل قاومت بكاءها بكل جهدها.. ذراعاه القويتان تمسكان بها قريبا من قلبه.. أبعدها قليلاً ليسأل برقة:

- أنت أفضل الآن؟

هزت رأسها خائفة أن يفضح كلامها تحيبها، لا بد أن مارك احس بمعركتها مع الدموع، فقال بصوت ممازح:

- يجب أن نضع لك جهاز انذار يدل على مكانك.

وابتسم ابتسامة اذابت عظامها. فقالت بصوت مرتجف:

- شكراً لك، لأنك... وجدتني... لقد ناديتني فاليري!

- أفعلت هذا؟ وهل تمانعين؟

- لقد أحببت اسمي من فمك. في بلدي الجميع يناديني بهذا الاسم.

أبعد نظره عنها... فتلاشت ابتسامتها، أيظن أنها تعتقد يبحث عنها يرغب برؤيتها بعد عودتهما الى بلادهما. وقال بصوت لطيف:

- الافضل أن نعود الى الباص.

أجابت وكبرياؤها يذوب بلطفه ورقته..

- مستعدة.

- فتاة طيبة..

وسارت معه.

في المطار، كانت مضطربة لدرجة الهدوء. اعتذرت وقوبل اعتذارها بكلمات مواساة «لاتقلقي» لكنها لا زالت تحس بالذنب لتسببها بالغاء غدائهم. وتقدمت منها إيملي:

- هيا ابتسمي.. نصف نزهتنا ضاع منا. فأنا لم أستطع العودة سوى قبل نصف ساعة من وصولك.

- صحيح؟

وتلاشى جزء من همّها.. وتابعت إيملي:

- وها قد مرت علينا عشرون دقيقة هنا ولم نتحرك بعد.. ما الذي يحدث هناك؟

غابت للحظات ثم عادت تسأل عن شقيقتها أليس:

- اذهبي وبدّلي نقودك عند الصراف، من الأفضل التخلص من العملة المحلية هنا.

قبل أن ترد فاليري كانت إيملي قد اختفت لتفتش عن اختها... كان مع فاليري ما يكفي لتصريفه بدلاً لأجرة تاكسي الى شقة صديقتها ماريا مينافو حين تصل الى مانيلا من مطار كوزون، وهذا يكفيها دون أن تصرف شيكاً سياحياً آخر هنا، فحافظة النقود لازالت في حقيبتها، ونسيت أن تخرجها نظراً لانشغالها بالحب الجديد الذي احست به نحو مارك.

وصلت الى مكتب التصريف وناولت الرجل العجوز ما معها، لتسمع صوتاً لم تعد تستطيع أن تنساه:

- أظنك شفيتِ تماماً من الاحساس بالضياع فاليري.

- أذاهب معنا على نفس الطائرة؟

- لدي بعض الاعمال في مانيلا.

ارادت أن تعرف ما هو عمله، أن تعرف أي شيء عنه:

ـ كانت رحلة عمل بالنسبة لك إذن؟

ـ كلا الأمرين.

استلمت المبلغ من الصراف.. وأخذت تحسب.. سيبقى معها ما بين الخمسين والستين دولاراً بعد دفع اجرة التاكسي.. إضافة الى اجرة السفر ما بين كوزون ومانيلا. تركت المكتب لتقدم وتقف قرب حقيبتها، استعداداً للمرور عبر الجمارك. وسرعان ما شاهدت مارك يضع الاوراق النقدية في حافظته ويتقدم ليقف قربها.

ـ ماذا يجري هناك؟

ـ إنهم يدفعون رسم المرور في المطار.

لقد نسيت هذا الأمر:

ـ وهل الدفع بالعملة المحلية؟

ـ هل صرّفت كل ما معك؟

ـ يمكنني إعادة تصريفها.

ـ لا حاجة لهذا معي ما يزيد لأدفع لكلينا.

اعجبتها طريقة «كلينا» لكنها معتادة على دفع ما عليها بنفسها.

ـ أيمكن أن تصرف لي مئة دولار... فهذا ما معي نقداً.

فابتسم:

ـ سأدفع عنك، إنه رسم زهيد.

ـ شكراً لك.

ما أن تم دفع كل رسوم المطار حتى تحرك الجميع نحو الجمارك. ومدت فاليري يدها لتحمل حقيبتها فتشابكت بيد

مارك:

ـ دعيني أحملها عنك.

لم يكن يعلم بالطبع أن لمسته تثيرها بجنون.. وتابع حديثه معها وهما ينتظران دورهما وسألها إذا كانت ستقضي ليلتها في كوزون كما يفعل الكثيرون قبل العودة الى بلادهم:

ـ سأسافر الى مانيلا وأبقى هناك حتى الخميس المقبل.

ـ في أي فندق؟

ـ لن أقيم في فندق... بل سأقيم مع أصدقاء في مانيلا.

كيف يمكن أن تعطيه عنوان ماريا مينار دون أن يطلبه؟ وتابعت تشرح له كي لا يسيء فهم كلمة اصدقاء:

ـ إنها صديقة...

ـ ألديك الكثير من الأصدقاء هناك؟ ومَنْ ستقابلين منهم خلال إقامتك؟

ارادت أن تقول إنها حرة حتى يوم الخميس، وطوال النهار لكنها خشيت أن يشعر بتوقها لرؤيته ثانية. ثم إنها لا تعرف ما إذا كانت ماريا قد حضرت لها شيئاً لنهاية الأسبوع. وقالت:

ـ ليس لدي شيئاً محدداً... وقد تكون صديقتي قد حضرت لنا شيئاً في نهاية الأسبوع، لكن بما أنها فتاة عاملة فستكون كل أيامي حرة.

مع أن ما قالته هو دعوة مفتوحة له إلا أنها لم تندم. وعندما وصل دورها الى الجمارك لم تفهم ما قاله الرجل حتى شرح لها مارك أنه يسألها إذا كانت قد سجلت كل الحلي والجواهر التي كانت معها قبل دخولها البلاد.

ـ أوه... أجل.

www.liilas.com

نبشت في حقيبتها لتجد النسخة لمحضر التسجيل وأعطتها للرجل... لكنه سرعان ما أشار لها أنه يريد رؤية الحلي. فابتسمت وهي تعرض له السلسلة في رقبتها، ثم مدت يدها الى حقيبتها لتخرج الخاتم الذي ائتمنها عليه باتريك.

لكن ابتسامتها تلاشت واصابتها الصدمة من جرّاء العدائية التي ظهرت على وجه مارك عندما رأى الخاتم.

ـ من أين حصلتِ على هذا؟

ـ من أين... ماذا؟

لكن ما أن فهمت قصده حتى صاحت به:

ـ أنا لم أسرقه!

ـ ولا حصلت عليه مكافأة على حسن تصرفك؟

ـ أيها ال...

وصمتت بعد أن خطرت ببالها فكرة:

ـ أنا لست مخطوبة.

ـ ومن غير المحتمل أن تكوني.

ـ شكراً لك كثيراً.

واستدارت عنه تكافح الدموع. يا لغبائها! إنها تبكي لأجله وهو.. القاسي المتوحش، يبلغها أنها لا يمكن أن تكون مخطوبة وخاصة له.

ابتسمت للرجل، آملة أن لا يكون قد أساء فهم ما يجري وذهبت لتقف في الصف عند قسم الجوازات. وحاولت تجاهل وجود مارك خلفها وهي تنتظر ليتفحص الموظف الرسمي جوازها ويختمه ويجرب إنكليزيته المكسرة:

ـ «مع سلامة آنسة باريت».

www.liilas.com

لم تبتعد كثيراً عندما كان مارك ينهي الاجراءات اللازمة، حين سمعت الرجل يقول:

ـ شكراً لزيارتك سيد هارلي..

مارك هارلي؟ حسناً فبعد أن تحط الطائرة بهما لن ترى وجهه اطلاقاً... لقد انتهى ما بينهما حتى قبل أن يبدأ. لقد سخر منها قائلاً «من غير المحتمل أن تكوني» عندما أخبرته أنها ليست مخطوبة.. وهذا ما يؤلمها الآن. كيف يمكن لها أن تقع في حب خنزير قذر كهذا! فلا حاجة له أن يصيح في وجهها ليسمعه الجميع وإن لم تكن تعجبه!

فليذهب الى الجحيم... لن أفسر له سبب وجود الخاتم معي... ولماذا أفعل؟ من هو ليكون حكماً على أخلاقياتها وكيف حصلت على الخاتم؟ ألا يعلم أنه يمكن أن يكون قد وصل إليها عبر قريب ثري مثلاً؟ لن تسمح له بأن يفاتحها بالموضوع ثانية.. لكن لماذا تضيع وقتها في كل هذه الأفكار؟ لن تراه ثانية وكفى.

عندما بدأ الجميع يتودّعون وهم يستلمون حقائبهم، لمحت مارك يستلم حقيبته. وعندما نظرت ثانية كان قد اختفى.

وقالت لها إيملي وهما تخرجان الى خارج المطار:

ـ عنواني معك. لكن بما أنني سأصل قبلك، فقد أكتب أنا أولاً لكن يجب أن نبقى على اتصال... وربما تمكنتِ من المجيء إلينا والاقامة معنا لبعض الوقت.

ـ أحب هذا.. مع أنني سأقضي سنوات قبل أن أوفر المال اللازم، لذا أظن أنك ستحضرين الى انكلترا قبل امكانية سفري الى كندا.

ـ عندما تقدميني الى شقيقك.

ـ ستعجبان ببعضكما.. أنا واثقة.

ـ لم أصادف مارك.. هل رأيته أنت؟

ـ لقد أخذ حقيبته واختفى.

ـ كان سيء المزاج في الطائرة.. تقدمت منه لأتحدث معه، لكنني لاحظت من تعابير وجهه أنه لا يرغب بالمشاركة.. هل تشاجرتما؟

ـ ما ظننته ينساه بسرعة من أبسط الأمور.

ـ إنه واثق من نفسه كثيراً.. أليس كذلك؟

وأخذ كل زوجين يصعدان الى سيارات الأجرة باتجاه الفنادق، وجاء دور ڤاليري لتأخذ تاكسياً يوصلها الى مانيلا.. لمحت الرجل الذي كان يراقبها في المتحف المرة الماضية، انطلق التاكسي. التفتت الى الوراء، فلم ترَ أحداً.

مسحت دمعة من عينها والتاكسي ينطلق في الطريق الرئيسية نحو مانيلا... قررت ڤاليري أنها لو التقت ثانية بمارك هارلي خلال اقامتها هنا فستجاهله دون أدنى شك.

مانيلا كانت صاخبة كما هي دوماً.. لكن الاحساس بالسعادة الذي أحست به يوم كانت هنا تلاشى تدريجياً... الازدحام رهيب فادركت أن عليها مواجهته من جديد عبر الشوارع المكتظة.

عندما استدار التاكسي، واتجه الى منطقة الميناء، بدأت ڤاليري التعرف على الأماكن المألوفة لديها.. ودفعت للسائق أجره وانتظرت حتى ينزل حقيبتها من الصندوق. وبما أنها لا تعرف ما قد تكون ماريا ميناو قد حضرت لهذا المساء، فقد

فكرت أن تمر فقط لتضع الحقيبة في شقتها، وتأخذ حقيبتها اليدوية التي تحتوي على ما تبقى من مالها.

ابتسمت ڤاليري لبواب البناية، ولم تكن مضطرة لطلب المفاتيح منه، فقد احتفظت بها. أوصلها المصعد الى الشقة، أدخلت المفتاح في الباب الخارجي الذي يحافظ على أمن السكان حين يفتحون الأبواب الداخلية اتقاء للحر.

فتحت الباب الخارجي ثم الباب الداخلي وانحنت لتحمل حقيبتها الى الداخل ثم خرجت لتقفل البوابة الحديدية الخارجية، ولم تكن بحاجة للنظر داخل الغرفة.

أقفلت الأبواب وانحنت لتلتقط حقيبتها مجدداً فكاد قلبها أن يتوقف عن الخفقان حين وقع نظرها على طيفٍ تأكدت أنه حقيقة..

فامتقع لونها وشهقت غير مصدقة:

ـ أنت؟

فالرجل الواقف هناك يبذلته السبور وقميصه المزركش كان الرجل الذي شاهدته آخر مرة في مطار كوزون. الرجل الذي ظنت أنها لن تراه ثانية.. لم يكن سوى مارك هارلي!

• • •

www.liilas.com

٤ ـ سرير وشخصين

مرة ثانية لم تتمالك ڤاليري نفسها فصاحت بذهول.

ـ أنت؟

ودار رأسها بعد أن أذهلها وجود مارك هنا. وتفحصت المفاتيح في يدها لتتأكد أنها لم تدخل الشقة الخاطئة، لكنها ادركت أن هذا مستحيل ولا بدّ أن المفاتيح متطابقة.

ـ ماذا تفعل هنا؟

مازال وجه مارك محتفظاً بتعابير ناقمة ساخطة تماماً كما وصفته إيملي حين تحدثت إليه في الطائرة. وأجابها ببرود:

ـ قد أسألك نفس السؤال.

وجاء كلامه حاملاً تلميحاً بأنها تلاحقه، فاستفز كبرياءها.

ـ هذه شقة صديقتي... وسأقيم هنا.

فتشدق ساخراً:

ـ أليس هذا عظيماً... وكذلك أنا.

وصاحت:

ـ لا يمكنك أن...

لم يكن تفكيرها قادراً بعد على فهم سبب إقامة مارك

www.liilas.com

مارلي في السكن الخاص بصديقتها. لماذا هو بالذات رغم ضخامة مانيلا بمن فيها وهو الآن يعتبرها عبئاً عليه تحمله حتى قرار سفر أحدهما.

قالت له بحدة، وهي تجيل نظرها في الشقة الصغيرة.

ـ ليس لك مكان هنا.

وتساءلت في نفسها أين يمكن أن ينام؟ فغرفة النوم لا تتجاوز حجم غرفة المؤونة في منزل والديها... ستحتلها مع صديقتها ماريا، في السرير ذو الطابقين.

التفتت الى المقعد المزدوج في غرفة الجلوس الضيقة، ثم أعادت نظرها إليه وهي متأكدة أنه لن يستطيع تمديد جسده الطويل عليه، ولحق بنظرتها ثم قال بسخرية:

ـ ما من مجال!

ـ هناك غرفة نوم واحدة. وأنا وماريا ستنام فيها.. لكنك لم تقل إنك تعرف ماريا ميناو عندما ذكرتها أمامك.

ـ تصورت أن هناك أكثر من فيليبينية تحمل هذا الاسم... ولا أعرف أحداً منهن.

ـ ألا تعرف ماريا..؟ ماذا تفعل هنا؟ إذا لم تكن ماريا قد أذنت لك...

وصمتت، وازداد خوفها على خاتم ماريا الذي تحمله... يا إلهي.. لا تريد أن تصدق أن مارك لص. لكنه رأى الخاتم في المطار، وعرف بأنه يساوي ثروة نظراً لما أبداه من ذهول.

وقاطع أفكارها:

ـ لدي كل الحق أن أكون هنا.

وأبدى انزعاجه لاضطراره لتفسير الامر لها، فليس أمامه خيار آخر، لذا حاول الاختصار.

ـ لا بد أن هناك سوء تفاهم ما.. أنا هنا في عمل..

فقاطعته.

ـ لقد اخبرتني هذا.

ـ أنا مدير مبيعات، جئت لأقابل أشخاصاً يهتمون بالعمل مع المؤسسة التي أمثلها. وهم متلهفون لشراء منتجاتنا وعندما علموا بأنني أكره الاقامة في الفندق، نصحوني بهذا المكان.

ـ لكن هذه شقة ماريا مينتاو!

ـ هذا ما قلته، وما يقودني الى السؤال: في أية مؤسسة تعمل؟

ـ تاونينغ للالكترونيات.

ـ إنها الشركة التي سأتعامل معها هنا.

بدأت تفهم شيئاً.. بدا ما قاله حتى الآن مقنعاً، لكن بكل تأكيد، لا يمكن لماريا أن توافق على مشاركة رجل لها في شقتها، حتى ولو لصالح صفقة كبيرة لشركتها!

لا بد أن المؤسسة تعرف أنها لن تحصل على صفقة مع رجل يتقوقع فوق مقعد مزدوج؟ وقالت واثقة:

ـ أنا متأكدة من أن ماريا سترفض.

ـ هناك طريقة واحدة للتأكد... اتصلي بها.

ـ ليس لدي رقم هاتفها.

ودهشت حين وجدته يتقن الفيليبينية عندما التقط الهاتف واتصل بالاستعلامات، وقال لها وهو ينتظر أن يعطى له الرقم.

ـ كوني مفيدة وسجلي الرقم.

فتشت ڤاليري في حقيبتها، واحضرت القلم والورقة، وكرر الرقم قبل أن يضع السماعة من يده. وقال لها ببرود:

ـ جاء دورك.

التقطت ڤاليري السماعة وبها رغبة لو تضربه بها على رأسه، وطلبت الرقم. وجن جنونها عندما لم تفهم عاملة الهاتف لغتها عندما طلبت التحدث الى ماريا مينتاو.. ولم يكن أمامها سوى طلب مساعدة مارك.

اعطته السماعة:

ـ هل تسمح أن تقول لها إنني أريد التحدث الى ماريا مينتاو.

وطال حديثه، وازداد قلق ڤاليري.. وكانت محقة في قلقها، فقد اكتشفت بعد قليل السبب:

ـ يبدو أن ماريا لا تزال مسافرة.

ـ مسافرة..؟ لا يمكن هذا! لديها اجازة اسبوع فقط وبدأت في أول أسبوع لي هنا.

ـ قيل لي إن تعقيدات طرأت على حالة جدتها فأخرتها.

وبدا واضحاً من لهجته أنه لا يهتم بأي شيء سوى الحفاظ على ترتيبات اقامته هنا. اشتد غضب ڤاليري حيال تصرّفه، وأحست بالأسف لسماع خبر سوء حالة جدة صديقتها. فكرت كثيراً، وفهمت كيف حصل هذا الالتباس. لا بد أن ماريا اتصلت بالشركة طالبة تمديد الاجازة نظراً الى أن جدتها على أعتاب الموت. وبالمقابل طلب منها رؤساؤها أن تسمح لهم باقامة أحد الزوار للمؤسسة في شقتها. فإما أن تكون قد نسيت أن لديها زائرتين، أو أنها ظنت أن ڤاليري ونينا لن تمانعا في

www.liilas.com

مشاركة أحد ابناء وطنهم في الشقة. وهذا يعني أن لشقة ماريا مفتاح في الشركة، وأن مندوباً للشركة التقى بماريا في المطار وجاء به الى هنا...

تخلت عن تحليل الاسباب، وهاجمتها فكرة رهيبة، أنها حتى بوجود ماريا هنا، لن تستطيع تحمل وجود هذا الرجل، وبدونها يصبح الامر مستحيلاً. وقالت له مدركة أنه قادر على تحمل المصاريف أكثر منها:

- يجب أن تذهب الى فندق.
- لن أذهب. فأنا أكره الفنادق.
- لكنك كنت تقيم في الفندق في سنغافورة.
- لم يكن لدي خيار آخر. وإذا كان لأحد أن يترك هذه الشقة آنسة باريت، فهو أنت.
- إذا كان لأحد..؟ أنت تعلم جيداً أن هناك غرفة نوم واحدة!
- وأنا لن أنام على المقعد المزدوج.

www.liilas.com

ادركت غاضبة أنه لن يتزحزح عن موقعه، فاخذت تفتش في حقيبتها عن مفاتيح حقيبة الملابس.. ذلك القذر! لا يملك ذرة واحدة من التهذيب.. أيظن أنها سترضخ له بعد أن قال لها في المنتزه: «حبيبتي المسكينة!» يا إلهي. يقال إن الحب أعمى.. ما أصدق هذا القول!

انحنت لتفتح حقيبتها، فسألها ساخراً:

- قررتِ البقاء لاستغلال الموقف قدر المستطاع؟
- سأستخدم تعابيرك القذرة.. اذهب الى الجحيم!

رفض أن يغادر بوقاحة.. مما سيضطرها لاستخدام ما تبقى

معها من مال للإقامة في الفندق. وستضطر الى صرف كل ما معها من شيكات سياحية، في وقت كانت تأمل فيه توفير البعض من مالها لحين عودتها.

افرغت حقيبتها تفتش عن حافظة نقودها فلم تجدها... وأعادت البحث في الزاوية اليمنى للحقيبة ثم في اليسرى كالمجنونة.. فلم تجد شيئاً.

اللعنة، يجب أن تخرج كل ما في حقيبتها قطعة قطعة، وهو ينظر إليها. وصاحت به تحمل حفنة من الملابس الداخلية في يدها:

- ألا يمكنك الذهاب لتجد لنفسك ما تفعله بدل التحديق بي؟

فرد عليها ببرود:

- إذا كنت تنوين إعادة ترتيب حقيبتك فهذه ليست طريقة جيدة.

فصاحت بمرارة:

- أفتش عن شيء.

ويئست من إيجاد الحافظة، فلم تصدق ما يجري لها... فنفضت كل قطعة لوحدها لتعيدها منفردة الى الحقيبة، وشحب وجهها كالأموات مع آخر قطعة.. عليها الآن أن تصدق!

همست مذهولة، وقد تلاشى غضبها من مارك:

- ليست هنا!

رد دون تحسس لأزمتها:

- لا تقلقي.. فلديك موجودات ذات قيمة. ولا شك أنك ستشترين غيرها.

ـ إنها حافظة نقودي. . لقد ضاعت!

ـ ضاعت!. . أنت واثقة؟

ـ بالطبع واثقة. . لقد اخرجت كل شيء من الحقيبة امامك، ألم ترَ؟

ـ وهل كنت تضعينها في حقيبتك؟ أذكر أنك كنت تحملين حافظة نقود في المطار ونحن نبدل العملة.

ـ لدي اثنتين. اعتقدت أن عليَّ فصل أنواع العملة عن بعضها كي لا أخلط بينها. . . حقيبة يدي امتلأت بالأشياء التي اشتريتها وثقل وزنها لذا وضعت حافظة النقود الأخرى في أسفل حقيبة الملابس، على أن أخرجها منها اليوم عندما أصل الى المطار.

ـ لكنك نسيت أليس كذلك؟ متى استخدمتها آخر مرة؟

تلاشى بعض غضبها عندما اهتم بمساعدتها، ولو بالتفكير:

ـ في الفندق في سنغافورة، ذلك الصباح احتجت الى تبديل للعملة. . .

ـ أكانت الشيكات السياحية فيها؟

ـ أجل.

ـ أواثقة أنها لم تقع منك في الفندق؟

ـ قلت لك أذكر أنني وضعتها في حقيبة الملابس. .

ـ وحقيبتك تقلبت بين الكثير من الأيدي والله وحده يعرف كم عددها. ألديك دفتر شيكات أو بطاقة اعتماد؟ إذا كان لمصرفك فرع هنا. . .

ـ لم أجلبها معي.

لم تقل له إن حسابها مفلس، وانها قبل أن تفقد شيكاتها

السياحية كانت ستنتظر صرف راتبها الجديد.

ـ لكنك بدلت العملة التي معك الى دولارات. . كم بقي معك؟

ـ أكثر من خمسين بقليل. وهذا لن يكفي أجرة ليلة في أي فندق. هذا عدا الأيام الخمسة الباقية.

تساءلت، بعد أن أطلعته على وضعها، عن مدى ذوقه وتعاطفه معها ليترك لها الشقة. لكنه قال:

ـ ما تحتاجينه هو فنجان شاي.

وذهب الى المطبخ. . دون أن يعير اهتماماً لما لمَّحت إليه.

بعد عشر دقائق كان يجلسان صامتين الى الطاولة وأمام كل منهما فنجان شاي. . حدقت فاليري الى السائل الساخن أمامها، تفكر بمشكلتها. . العودة الى بلادها هو الحل الوحيد. لكنها لا تريد ذلك. لقد حرمت نفسها الكثير لتدفع مصاريف هذه الرحلة، وتريد أن تستفيد منها قدر استطاعتها. لماذا تضطر للرجوع بسبب متطفل سرق مالها؟ ستكون غبية لو تركت هذا يفسد عليها عطلتها! وتطلعت الى المقعد المزدوج، وقارنته في ذهنها بطول جسمها وتنهدت. إنها طويلة القامة، وستضايق كثيراً في رقادها. . مع ذلك لم تجد سبباً يمنع مارك من النوم عليه.

نظرت إليه لتقترح هذا. . وكأنه فهم ما تريده، فأجاب برأسه بحركات نافية. وقال لها:

ـ بإمكانك النوم في الطابق الأسفل من الفراش.

ـ شكراً لك سيد هارلي. . أفضل الموت على مشاركتك

www.liilas.com

غرفة واحدة.

ـ يجب أن تبلغيني نوع الزهور التي تحبين أن أرسلها الى قبرك.

نظرت إليه بكراهية، ووقفت حاملة حقيبتها ورغبة شديدة تجتاحها لضربه بها، ثم خرجت.

الشيطان اللعين! يعرف كل شيء! وفكرت بالمقعد المزدوج في غرفة الجلوس الصغيرة. صحيح أنه مريح للجلوس لكنه ذو ذراعين قاسيتين... والمسافة القصيرة بينهما لا يمكن أن تؤمّن فسحة مريحة للنوم.

تجولت ڤاليري في الأسواق المختلفة... محلات مفتوحة المداخل يتصاعد منها مختلف أنواع الروائح. وجالت بنظرها، على الأشياء المختلفة المذهلة المعروضة للبيع. وتابعت سيرها هنا شاحذ السكاكين واقف على الرصيف مستخدماً آلته القديمة. وهناك الاسكافي في دكانه القديم ينحني فوق عمله.

وسرعان ما عادت تفكر في وضعها الراهن... فكل شيء سار بطريقة خاطئة، كان آخرها على ما تظن ترتيبات سكنتها في شقة صديقتها... ومارك هارلي كان ملك القلعة... مع ذلك فقد أحست بفرح داخلي.

لم يكن سبب هذا الفرح ابتعادها عن ازعاج وسخرية مارك. بل احساساً يتعلق بهذا المكان، بهذا الجزء من العالم، الذي يجلو الحزن والأسى عن القلب، مهما بلغا ذروتهما.

أحست بالعطش والتعب، لجأت الى حديقة عامة صغيرة وجلست على أحد مقاعدها ونافورة الماء أمامها، وزادها منظر الماء عطشاً... لكن ليس عليها أن تعجّل بشراء شراب ما...

فنقودها محدودة ويجب أن لا تسرف فيها.

جلست في الحديقة لوقت طويل، متناهياً الى سمعها هدير السيارات المتوارية عن نظرها... كانت تفكر... وتفكر حتى توصلت الى عدة استنتاجات كانت مفروضة عليها.. أولاً إنها مضطرة أن تقضي ـ هذه الليلة على الأقل ـ على الأريكة، ثانيها، إنها في الغد يجب أن تذهب الى المطار لتغيير موعد سفرها فالوقت متأخر الآن لمثل هذا الاجراء.. ولن تصرف مالها بدل أجرة التاكسي، بل ستبدأ في الغد صباحاً رحلتها الى المطار سيراً على الأقدام. سيكون الأمر شاقاً وهي تحمل حقيبتها لكنها مستعدة لتحمّل المشقات... حتى تحصل على طائرة في الغد.

تنفست الصعداء بعد أن حددت خطاها.. أحست بالجوع، وأملت أن يكون مارك قد أبقى على شيء من الطعام الذي تركته في الشقة.. واستعدت للعودة سيراً على الأقدام.

مرت برجل كان يجلس بعيداً عنها على مقعد يقرأ جريدة. ولاحظت أنه لا يزال يقرأ رغم غروب الشمس.. نظرت إليه.. فغمرها شعور بالصدمة والخوف.. إنه الرجل الذي لاحقها طويلاً وما يزال...

حاولت جهدها أن تخفي هلعها.. فسارعت لتخرج من الحديقة وهي تتأبط حقيبة يدها، ويدها الأخرى تمسك بمقبضها في حال حاول أحدهم شدها منها.. لابد أنه يسعى وراء ذلك الخاتم. وأخذت تندفع بين السيارات وتركض من جهة لأخرى، وعيناها تفتشان بذعر عن رجل بوليس يحمل شارة حمراء على كتفه مما يشير الى أنه يتحدث الانكليزية.

ومن حسن حظها.. لم تصادف أحداً من رجال الشرطة إذ لم تكن تدرِ ما ستقول له... وما إن سارعت الخطى محاولة التغلب على خوفها... حتى لمحت رجل بوليس ببذلته الكحلية، لكن فكرة اللجوء إليه تلاشت وأصبحت سخيفة برأيها.. فماذا ستقول له؟ وماذا يمكن أن يفعل لها؟ إنها واثقة من أن الرجل الذي يلاحقها سيختفي لحظة يراها تحادث رجل البوليس.

لا تزال تعتقد أن أحداً سيقبض عليها منتزعاً منها الحقيبة رغم شدة حرصها عليها... حتى بلغت مشارف المبنى الذي تقع فيه شقة ماريا ميناو فاطمأنت وارتاح قلبها... ولم تنتظر المصعد، بل صعدت بأسرع ما يمكن الثلاثة صفوف من السلم لتصل الى الشقة، آملة في لا وعيها أن يوفر لها مارك الأمان الذي تنشده.

www.liilas.com

ورنت جرس الباب ويدها ما تزال تقبض على الحقيبة. فتح مارك الباب وسألها ساخراً:

ـ هل نسيتِ مفاتيحكِ؟

لم تتمكن من الاجابة بما يتوافق مع سخريته.. فدخلت كلمح البصر، وتهاوت على الأريكة بعد ما ركضت ما يقارب الثلاث كيلو مترات... سمعته يقفل الباب ثم أتى بكأس زجاجي، ودسه في يدها، مما يدل على إنه لاحظ شدة خوفها.. ثم سألها بهدوء:

ـ ما الأمر؟

ـ شخص.. ما.. كان.. يلاحقني.

ـ اشربي ما في يدك.

وتناول كرسياً ليجلس قبالتها. كرعت ما في الكأس لتجد أنه مجرد ماء بارد... وسألها:

ـ هل أنت واثقة من هذا فاليري؟

ـ قطعاً.

ـ ما شكله؟ أهو من أهل البلاد؟

ـ لا.. بل أوروبي. طويل أصلع الرأس وذو شاربين.

وقف مارك متوجهاً نحو الباب وقبل أن تعرف علامَ ينوي، صاحت به مذعورة:

ـ لا تتركني!

فابتسم لها بلطف:

ـ لن اتأخر.. تأكدي من الطارق من ثقب المراقبة قبل أن تفتحي.

كانت أنفاسها قد عادت الى طبيعتها عندما عاد مارك، لكنها كانت لا تزال خائفة ومضطرة للنظر عبر العين السحرية.

ـ لم تجده.. أليس كذلك؟

ـ لقد فتشتُ عنه جيداً.

ـ لم اكن أتخيل أنه يلاحقني.. صدقاً.. وليست المرة الأولى.

ـ لا أعتقد أنها المرة الأولى.

ـ صحيح.. لقد كان في المطار اليوم. و.. و.. شاهدته يراقبني قبل أن أسافر الى سنغافورة أيضاً.

ـ ألم تريْه في سنغافورة؟

ـ لا.

وبدأ يشك في صحة ادعائها رغم أنه صدّقها حين دخلت

الشقة لاهثة الانفاس، ولكن بعد خروجه وعدم رؤيته لأي شيء يثبت قولها.. استخفّ أمرها... فقالت بعناد:

- أنت لا تصدقني. أعلم هذا. لكنني كنت ملاحقة. ليس للسبب الذي تظنه.

- لم أقل إنني لا أصدقك.. بل افترض أنه شاب أحس بالاثارة أمام جمالك وجاذبيتك... وإلا فما هو السبب لملاحقته لك؟

إنه يعلم السبب! اللعنة عليه! إنه يعلم! إنه يعلم بأمر الخاتم في حقيبتها! تتذكر صياحه جيداً: «من أين حصلتِ على هذا الخاتم بحق الجحيم!» وكذلك ملاحقته التي تلت، ولم تعد تحتمل سخريته... فردت بسخرية مماثلة:

- كيف لي أن أعرف لماذا يلاحقني؟

بدأت تحس بالارتياح والامان في شقة ماريا، بعيداً عن الخوف، ومن المؤكد لديها أن ماحصل هو حقيقة وليس من نسج خيالها. فأحست بحاجة الى التمرد لأن مارك اعتبر الأمر منتهياً.. لم يقل بعدها أية كلمة... وسمعت حركته في المطبخ.

خارت قواها وهي تتضور جوعاً وباتت بانتظار انتهاء مارك من طعامه حتى تدخل.. المطبخ صغير جداً ولا يتسع لاثنين. وتناهت إليها رائحة شيء لذيذ يفتح الشهية وعليها ألا تطمع بأكثر من علبة «الفاصوليا» المطبوخة التي ستأكلها دون خبز.. وأملها الوحيد أن لا يكون مارك قد أكلها.

- أتشعرين بقدرة على تحضير المائدة؟

نظرت إليه لتجده واقفاً يسد باب المطبخ.. وتمنت لو

تصرخ به احضرها بنفسك.. وفي داخلها بلغ التمرد حدّه لقد حضّر مارك طعامه بينما هي لن تأكل سوى الفاصوليا المطبوخة. لكنها أحست بالسعادة للجمها لسانها، ورغم نظرتها الشرسة التي قابلها بإبتسامة ساحرة.

- حصلت على قطعة ستيك من أشهى ما أكلته في حياتي، وهي جاهزة للتقديم.. لكن للأسف أنها كثيرة على شخص واحد.. فهل تشاركيني بأكلها؟

حاولت أن تبدو هادئة باردة:

- آه.. إذا أصريتَ على ذلك.

لكنها لم تستطع الاستمرار ببرودها، فقد أحست فجأة بالسعادة، وابتسمت ابتسامة طبيعية... ولاحظت أن عيناه على فمها، قبل أن يستدير ثانية الى المطبخ.

كان محقاً بأن قطعة الستيك شهية، ووضعت آخر قطعة من حصتها في فمها لتمضغها. سألته بعد أن دفع طبق الجبن والبسكويت إليها:

- هل خرجت للتسوق بعد ان تركت الشقة؟

- ليس كل الرجال عاجزين عن مثل هذه الامور.

- هذا ما اثبته لتوك.

تركزت عيناه على جسمها وشفتيها ثم وقف وتوجه بسرعة نحو المطبخ، فأحست فاليري أن هناك توتراً في الجو.. سرعان ما زال هذا الوهم عندما التفت إليها قائلاً:

- هناك جبل من الأواني للغسيل.

- سأفعل هذا بنفسي.

وهذا أقل ما يمكن أن تفعله بعد تقديمه هذه الوجبة الجيدة

لها.

ـ لكن ليس هناك مكان سوى لشخص واحد.

فردت بمرح:

ـ شيطان ذكي؟

كان يجلس على الأريكة يقرأ عندما خرجت من المطبخ منهكة. التفت ينظر إليها حين جلست الى الطاولة.

ـ تبدين متعبة.. لماذا لا تذهبين الى النوم؟

إنه يريد ابعادي عن نظره.. حبها له جعلها حساسة جداً تجاه ما يقول.. يريد اكمال قراءة كتابه ووجودها قد يزعجه!

ـ سأذهب الى النوم ساعة تذهب أنت.

بدت كلماتها أكثر حدّة مما تنوي. لكن عندما لاحظت ارتفاع حاجبيه لكلماتها سرّها أنها احتدت، فتابعت حدتها لتقول بحرارة:

ـ ولا تستنتج أية فكرة قد تروق لك مما قلته.. سأنام هنا وليس في الداخل. وأنت الآن تجلس فوق المكان الذي سأنام عليه!

لقد تسببت بغضبه.. بدا هذا واضحاً عليه.. رمى كتابه من يده وهو يقف، ينظر إليها نظرة قاتلة، قبل أن يتجه الى غرفة النوم. في لحظات عاد وذراعاه مليئتان بلوازم النوم التي انتزعها عن أحد السريرين. رمى ما في يده على المقعد وقال لها:

ـ لمعلوماتك آنسة باريت.. لن يزعجك أحد في هذه الشقة كما لو كنت في الدير. ولو كانت فكرة النوم معك قد خطرت لي في وقت ما.. فالفكرة تلاشت من دماغي حين كنا في مطار «كينابالو».

وتمكنت من الرد عليه قبل أن يعود الى غرفة النوم وصفق الباب وراءه:

ـ هكذا أفضل.. فحظك يومذاك لم يكن أفضل منه الآن!

النذل الوقح! وفتشت في حقيبتها عن ثوب نومها.. لو أن النوم معها خطر بباله؟ بل خطر بباله ذلك الملعون! لعشر دقائق تجولت في المكان كالمجنونة تغسل وجهها، تفرك أسنانها، في الحمام الصغير الملاصق لغرفة النوم.

سبب موقفه العدائي هذا هو ذلك الخاتم بدون شك. وأخذت تتلوى فوق المقعد محاولة أن تجد لها وضعاً مريحاً فوقه... لقد فقد اهتمامه بها منذ أن رأى الخاتم... وعلم أنه غالي الثمن. فوصفها على الفور بأنها فتاة لا تعطي شيئاً مقابل لا شيء.. هذا غير مهم.. يا له من لسان لاذع نزق!

وهذا هو سبب تجاهله لأزمتها المالية. صحيح أنها ما كانت لتقبل منه شيئاً، لكنه لم يُتح لها فرصة الرفض... وتقلبت ثانية.

www.liilas.com

ربما اعتقد أنه لن يسترد ماله لو أنه أسلفها.. لكنه لم يعرض عليها ذلك!

مضت ساعتان، فاليري تحاول النوم، وكراهيتها تزداد لمارك، كلما فكرت أنه الآن يشخر مرتاحاً في الفراش. أفكارها تعددت وتنوعت وهي تحاول صمّ أذنيها عن الجلبة في الشارع.

يا إلهي! كم هي متعبة! ألن تنام مطلقاً؟ لماذا لم يزودها بوسادة كما زودها بالاغطية.. فذراع المقعد القاسية تسبب لها ألماً في رقبتها. لم تستطع سوى التساؤل عما إذا كانت ماريا، قد خططت لنوم أحدهما على هذه الأريكة التي تجلب الجنون!

لو جاءت تينا معها لكنَّ ثلاثة، لولا أن اصيبت تينا بالزائدة، واضطرت ماريا لملازمة جدتها.. أوه.. يا للجحيم... الأمر مستحيل!

في وسط شكرها لله أنها اشترت كل ما يلزمها من هدايا، حتى لا تخيب أمل أحد فيها، فهي لن تتمكن الآن من شراء شيء، صحيح أن لا أحد يتوقع منها هدية، وأمها أوصتها أن لا تأتيها بشيء.

تقلّبت فوق المقعد قلقة، فوقعت على الأرض وعادت الى النوم حانقة ولفت الغطاء على ذراعيها العاريتين... أيكون ذلك المغرور في الداخل قد نام على الفراش السفلي؟ هذا أمر سخيف! وتذكرت كم كانت مرتاحة في الفراش أول أسبوع امضته هنا. بعيداً عن الاصوات في الخارج... وكيف أنها نامت بسرعة دون أي اضطراب حتى الصباح.

لو أنه ينام في الطبقة السفلى من السرير المزدوج الطبقات فلن تتوفر لها فرصة للتسلل الى الطبقة العليا دون إيقاظه... لكن... إذا كان ينام في الطبقة العليا، فبإمكانها بكل سهولة أن تتسلل لتنام بضع ساعات. إنها دائماً تستيقظ عند ساعات الفجر الأولى.. قبل أن تعاود النوم ثانية.

الفكرة، وليدة يأس. إنها واثقة من عادة استفاقتها الباكرة.. أليس كذلك؟ حتى ولو تأخرت فكل ما عليها هو التسلل للخروج من جديد قبل أن يلاحظ شيئاً...

تقدمت على اطراف اصابعها فوق الأرض، تمسك بالغطاء بشكل محكم... وتلمست مقبض الباب... وفتحته بلحظات بدت كأنها ساعات.. أطلت في الضوء الخافت محاولة أن ترى

ما إذا كان هناك أحد في الطبقة السفلى.

مدت يدها، مستعدة للتراجع إذا فاجأها شيء ما، لكن يدها تحركت بحرية... لاشيء هناك!

خشيت أن تعود لتقفل الباب، لا فائدة من هذا لأنها ستعود وتتسلل ثانية عند الصباح.. تمددت فوق السرير.

واستلقت تجرّ الغطاء فوقها، وتقلبت، فسمعت السرير يصدر أصواتاً تحتها، فحبست انفاسها. لكنها لم تسمع نفساً أو صوتاً أو حركة لمارك من فوقها..

مددت ساقيها الطويلتين.. يا للنعمة الكاملة... واغمضت عينيها.

• • •

www.liilas.com

٥ ـ إقامة إجبارية

صوت، أو شيء ما أقلق منام فاليري.. فتحت عينيها وهي مستلقية الى جانبها، ثم أغمضتهما بسرعة عندما رأت زوجاً من السيقان المسرولة، يقترب من السرير... وكان النهار واضحاً! ماذا حدث لمنبه عقلها؟ إنها لم تنم من قبل أبداً كما الليلة... لعل التعب من عناء الركض بالأمس والسهر حتى ساعة متأخرة من الليل، كل هذه الأسباب مجتمعة، ساهمت في نومها العميق دون حراك رغم طلوع النهار.

سمعت صوتاً بارداً ساخراً يقول:

ـ لقد صنعت الشاي!

صوت مارك، حمل لهجة الاستغراب وعدم أخذه بحقيقة نومها ومشاركتها له في الغرفة... وقبل أن تفتح عينيها للمرة الثانية انتظرت حتى يخرج من الغرفة بساقيه المسرولين... عرضه للشاي أعجبها، فرمت الغطاء، وأنزلت قدميها على الأرض ثم استوت بقميص نومها القطني الشفاف، تتمدد بلذة قبل أن تلاحظ أنه ترك باب الغرفة مفتوحاً، ولم يكن بعيداً عن الحملقة بإعجاب في تضاريس جسدها البارزة عبر القطن الرقيق.. ويدعي أنه تخلى عن أية فكرة كانت قد ساورته في

مشاركتها الفراش.

غضب مفاجيء جعلها تصفق الباب في وجهه بقوة... ثم وجدت نفسها في ورطة... كل ملابسها في الخارج! إنها حتى لم تفكر بإدخال ملاءة النوم معها. لماذا؟ تعرف الجواب: لأنك توقعتِ أن تخرجي من الغرفة قبل أن يستيقظ مارك!

ارتدت نحو الغطاء لتلتقطه وتضمه على جسمها كي تتمكن من الخروج لاحضار الملاءة، إلا أنها توقفت عندما فتح الباب ومن خلفه قال مارك بسخرية لاذعة:

ـ أظن أن تواضعك سيسامحني إذا ما عبثت بحقيبتك في هذه الظروف.

وناولها ملاءتها.

أخذتها منه، وعيناها كالخناجر في ظهره عند خروجه... تلفلفت بملاءتها مطمئنة نفسها بأن شيئاً مما قاله لم يحصل.

www.liilas.com

كان يصب الشاي عندما وصلت إليه، جالساً الى الطاولة، ورائحة عطر ما بعد الحلاقة تفوح منه... تصنّعت له ابتسامة وجلست معه، لكنها سرعان ما ندمت عليها عندما قال آمراً:

ـ ضعي شيئاً في قدميك.

ـ أفضل أن اتجول في المنزل حافية.

إنها تعرف أنه قادر على استفزازها نحو الاسوأ وإنما تجابهه فقط لأنها لا تحب أن تخضع لأوامر رجل مطلقاً.

ـ افعلي ما شئتِ.. ولكن لا تأتيني صارخة إذا داعب صرصور ما أصابع قدميك.

تذكرت أنها صادفت أكثر من صرصور هنا في البيت... نهضت على الفور وأسرعت تفتش عن خفها تحت الأريكة.

توقعت ڤاليري أن يبدو مارك معتزاً بنفسه لاستسلامها دون مقاومة، نظرت إليه فأشعرها بالغيظ لأنه اكتشف هشاشة إرادتها متأكداً من ذلك عندما بدت لها الأريكة بالأمس مليئة بكتل الحجارة فهربت الى الفراش.

سألها وهما يرشفان الشاي:

ـ ماذا خططت لليوم؟

أيظن نفسه قادراً على احتكار السخرية لوحده؟

ردت عليه بخفة:

ـ فكرت أن أنزل في افخم فنادق البلد.

لكنها اكتشفت أن سخريتها شكلاً ومضموناً ليست بمستوى سخريته:

ـ لا أشك مطلقاً أنك ستجدين بسرعة مغفلاً يدفع الفاتورة.

تطاير الشرر الأحمر من عينيها لرأيه المنحط بها. وقفت على قدميها، فطار الفنجان من يدها... وتناثر الشاي الساخن بكل اتجاه حتى كاد أن ينزل فوق وجه مارك لولا تداركه للأمر فتحرك من مكانه بسرعة، وبسرعة البرق كان يقف ممسكاً بمعصميها ووجهه المتغضن غضباً وهو يشدّ ڤاليري إليه.

خفق قلبها تحت ثيابها الرقيقة بينما القسمات العدائية بادية على وجهه.. فتلاشى غضبها بسرعة أكثر مما أثير بها... ارادت أن تقول له إنها آسفة.. فلم يكتب لقولها أن يخرج من فمها. فالأكثر من رغبتها في الاعتذار، كانت رغبتها في أن تشعر بنفسها بين ذراعيه، رغبتها في أن تحرق يداه كل ما تلامس من جسدها كما حصل من قبل.

لكن، وفي وقت لم يعد يهمها شيئاً، ولا تعي شيئاً، أبعدها

عنه، وقال وهو يصرّ أسنانه:

ـ اغربي عن وجهي وارتدي ملابسك... فليس كل الرجال يرغبون بما يعرض عليهم.

مذهولة.. غير قادرة على العودة الى الواقع.. وقفت تحدق به... والألم بادٍ في عينيها... والغضب يهز كيانها.. لكنها مضطرة للسيطرة عليه... فتحركت بسرعة تلملم ما تحتاجه من الحقيبة، وتجاوزت الشاي المدلوق فوق الأرض... فلينظفه بنفسه... ودخلت غرفة النوم. مغلقة الباب وراءها وأقفلته بالمدلاة.

تحت الدوش، لم تستطع ڤاليري تهدئة غلياناتها وثورتها المكبوتة... وإذا اضطرت لأن تقول له كلمة أخرى فستكون «اذهب الى الجحيم».. وبما أنها لم تكن مستعجلة للانضمام الى ذلك البربري، فقد تباطأت وأخذت الشامبو من حقيبة الحمام وغسلت شعرها.. لكنها تذكرت وهي تجفف نفسها أنها لو توقعت أن تذهب الى المطار كما قررت، فسيكون هذا الآن بشعر مبتل.

الارض كانت نظيفة من الشاي عندما خرجت من الحمام مرتاحة في بنطلون جينز وتي شيرت. وأحست بالذنب والتقصير. هذا ما لم تكن تريده، عليها هي أن تنظف الشاي... وهذا اشارة الى أن غضبها قد تلاشى.

ـ لا تبدين أنك تنوين الخروج من البيت لفترة من الزمن.

أدهشها أن تسمع لهجة انيسة لهذه الدرجة، بعد جو الغضب المشحون الذي أثاره منذ أقل من نصف ساعة. اعتقدت أنه لن يحاول التكلم معها... وأكمل بنفس اللهجة اللطيفة

www.liilas.com

المرحة:

ـ إلا إذا كان لدى صديقتك مجفف للشعر تخبئه في مكان ما.

تردت، حائثة بقسمها أن تبقى صامتة ولا ترد عليه:

ـ ليس من عادتي التفتيش في اغراض الناس المخبأة.

رفع حاجبيه متعجباً... فاستعدت للبقاء هادئة مهما قال. لكنه قال:

ـ حسناً... سأخرج.. وسأعود وقت الغداء... اتحتاجين الى شيء؟

ـ لا... شكراً لك.

أفرحها عرضه وسؤاله عن حاجتها، لكن كبرياءها منعها من قبول إحسانه كما تعتقد.

واستيقظ إعجابها به ثانية... نادمة على ما حصل منذ قليل... «لو لم يتعمد لأحرق الشاي وجهه... ثم انتظرها حتى تنهي حمامها ليسألها عن حاجاتها قبل أن يخرج من البيت»...

استدركت فاليري أمراً قبل خروج مارك فسألته:

ـ آه... هل تصدف وجهة سيرك ناحية المطار؟

ـ المطار؟ ربما.. ولكن لماذا؟

ـ كنت أريد تغيير موعد سفري الى اليوم.

ـ وهل أنت مستعدة للسفر؟

نبرة صوته أدهشتها بدورها. لماذا يدهش لرغبتها في السفر؟ إنه يعرف ظروفها... ولمحت حيرةً في عينيه... محاولاً كشف الأسباب وتوقع أنها تنتظر ردة فعله... وأكد

ظنونها بقوله:

ـ أية لعبة تلعبين بالضبط؟

فصاحت:

ـ وماذا تعني بحق الجحيم؟ أية لعبة تقصد؟ تعلم جيداً أنني مفلسة... ولن أستطيع اطعام نفسي... فأين يمكنني اللعب سوى الى وطني؟

ـ حسناً... لا تغضبي... يا إلهي كم أنت سريعة الغضب! اهدأي واعطني بطاقة سفرك... وسأكون سعيداً بتغيير موعد السفر.

قالها بسخرية، وبدا مبتهجاً لسفرها والتخلص منها... بحق الله أين ذهبت كل تعهداتها بالسيطرة على غضبها وانفعالها... وهل كل من يقع في الحب، تزداد حساسيته ويصبح مجنوناً ثائراً لأتفه الأسباب؟ صحيح أن كلامه مهين لها.. رغم أنها لم تتلق في حياتها اهانات مثل اهاناته... ومع ذلك... فهي تحبه.

أيقنت أن هذه الافكار لن توصلها الى نتيجة فتشاغلت بتنظيف وترتيب الشقة الصغيرة... انها لم تتناول الفطور وكذلك مارك. ربما هو مثلها لا يحس بالجوع صباحاً! أوه... كفى عن التفكير به!

فيما بعد بدأت توضب حقيبتها، فهي لا تريد أن تظهر أمام رجال الجمارك بهذه الفوضى. وجدت بطاقة بريدية، فقررت أن تكتب الى تينا... على الأرجح، ستراها قبل وصول البريد إليها، كانت تينا تقضي فترة نقاهة في الشقة وسوف تسعدها زيارة ساعي البريد لها.

www.liilas.com

لصديقتها... سمعت صرير قفل الباب مما زادها ابتهاجاً بعودة مارك... التفتت نحوه بلهفة وهو يدخل. ثم أشاحت بنظرها عن عينيه البنيتين... اضطرت للالتفات ثانية عندما انحنى دون أن يقول شيئاً لازاحة حقيبتها من طريقه حيث تركتها قرب الباب.

تابعته بعينيها... ومزيج من المشاعر الغامضة يتملك قلبها، أدخل حقيبتها الى غرفة النوم، حيث رتبها في وضع عامودي فوق حقيبته القابعة في زاوية الغرفة... وقاليري تنتظر بفارغ الصبر خبراً أو كلمة بشأن موعد سفرها.. عاد مارك من الغرفة فسألته بلهفة عما تريد فأجابها:

ـ حاولت جهدي لدى كل شركات الطيران... لكن الحجوزات لديهم كثيرة. ولم أتمكن من تغيير الموعد.

عرفت أنه يقول الحقيقة وأنه حاول لدى كل شركات الطيران مبدياً رغبته في التخلص منها. مع ذلك لم تستوعب بأنها باقية هنا... معلقة تماماً.

ـ ولكن.. هناك الكثير من المقاعد الشاغرة في الطائرة التي أقلتنا الى هنا!

ـ أعلم... تماماً كما كانت طائرتي.

فتنهدت وهي تفكر كم يوماً يستطيع جسم الانسان احتمال الجوع. فسمعها مارك تتنهد واخذته الشفقة عليها... وهذا ما لم تكن تريده.

ـ يبدو شعرك جافاً... فهيا بنا... سآخذك لتناول الغداء.

ـ لا... شكراً لك... لست جائعة.

سمعته يقول بصوت لطيف هادىء:

ـ لا تكوني عنيدة قاليري.

ترقرقت الدموع في عينيها للهجته الرقيقة. كم يؤثر عليها بلطفه، بينما عندما يكون غاضباً تقدح عيناه شرراً. واخفضت عينيها محاولة منها لاخفاء دموعها لئلا يشعر مارك بضعفها تجاه لطفه. وتمتمت:

ـ لا أريد حسنة.

ـ ليس الأمر كما تتوهمين. فأنت باقية هنا حتى الخميس واليوم هو السبت... ويجب أن تأكلي... نحن ذوي جنسية واحدة وقد تفعلين نفس الشيء لي لو كنتِ مكاني. أليس كذلك؟

فلم ترد فسألها ممازحاً:

ـ أم أنك لن تفعلي؟

ـ أجل... سأفعل على ما أعتقد.

وابتسمت له عندما رفع لها رأسها لتراه مبتسماً لها.

ـ ها أنت إذن... هيا بنا... يا فتاتي الطيبة... لقد التصقت معدتي بظهري من شدة الجوع.

لقد احتواها بلطفه، سحرها، وتركها عاجزة عن التفكير. حتى أنه عندما رأى البطاقة التي كتبتها على الطاولة أخذها معه.

استعادت قاليري كبرياءها وهما يسيران على الرصيف، وهذه المرة لأنها تسير معه. كانا الغريبين الوحيدين في كل المنطقة. وهذا سبب غير كاف لانشغال الناس بالنظر إليهما، كما فكرت، بل السبب هو أن مارك يلفت الانظار أينما ذهب.

www.liilas.com

مرا بمكتب بريد، فقال إنه سيتركها للحظات ليرسل بطاقتها فقالت:

- استطيع فعل هذا.

- ابقي هنا وانتظري.

وغاب قبل أن تمنعه. فحاولت اللحاق به لكن كبرياتها منعها. إنهما لم يتصادما منذ رجوعه، فهل تستأهل بطاقة بريدية مشاجرة أمام الناس في الداخل من أجل ثمن الطابع؟ ولمارك كبرياؤه أيضاً... وسوف يشعر بالاهانة أمام الجميع لو اصرت على الدفع؟

نظرت من حولها.. فتذكرت الرأس الاصلع الذي لاحقها بالامس فأحست فجأة بالتوتر... أوه.. أين ذهب مارك؟ وتمسكت بحقيبتها... وجوده يُشعرها بالأمان. لمس ذراعها فاجفلت:

- أنت شاحبة... ما بك؟

لا شيء الآن وقد عاد إليها.

- لقد كنت أفكر بالرجل الذي كان يلاحقني بالامس.

- أظننت أنه يلاحقك اليوم؟

أذن فهو لم يصدق أن هناك أصلعاً يلاحقها. ولم ترد... فأكمل:

- أنا واثق أنك لن تريه مجدداً... ولكن من باب الحيطة والحذر، التصقي بي.

وصلا الى مطعم على شاطىء البحر في مكان يطل على الخليج. وفي برودة ما يحيط بهما، شربا كوب ماء منعش بارد قُدم لهما. شعرت فاليري بالاسترخاء. فعلق مارك:

- تبدين أفضل حالاً... أتحسبين أنك الآن فاليريا الاصلية التي يماثل طبعها لون شعرها الأحمر؟

فردت بهدوء، وأبدت اعتذاراً متأخراً جداً:

- آسفة... كنت أدلق عليك الشاي.

لم يقل لها إنها كانت تقصد أن يؤذيه الشاي، لكن هذا كان بادياً في عينيه، فأشاحت بنظرها عنه، وأخذت تلتهم الطعام الذي قدم لهما. سعيدة أنه لم يقل شيئاً مما كان واضحاً في عينيه... ربما هو مثلها الآن يتصرف بشفافية ورقة. ربما هو كذلك قرر أن يحفظ لسانه وأن لا يقول شيئاً يُلهب غضبها أو يُثير ردّها... تابعا تناول الطعام دون أية عدائية من الطرفين، لا شيء سوى الابتهاج والكياسة من مارك.. وعند تناول الحلوى كانت السعادة تغمر قلب فاليري.

كانت الموسيقى تتهادى الى سمعهما من مكان ما في المطعم رقيقة ناعمة ومهدئة للاعصاب... فجأة سمعت انغام «فريد في الليل» الشهيرة، فرفعت رأسها إليه، وكادت انفاسها أن تتوقف، فقد كان ينظر إليها وكأنه مسحور مثلها تماماً.

فابتسمت له... بكل بساطة لأنها لا تستطيع سوى أن تبتسم وظنته سيرد على ابتسامتها، لكنها سقطت دفعة واحدة من حيث كانت تهيم.. إذ قال لها باختصار:

- إذا انهيت تناول الحلوى سآخذك الى قمة الجبل.

هذه الكلمات بددت سحره عن قلبها.. وتذكرت بعض الكلمات القذرة التي سمعتها منه سابقاً.. فتخلّصت من انجذاب تخشى الاستسلام له... لقد كانت تسبح في أرض الاحلام لفترة من الزمن... لم يقل لها أي شيء عن موعد عودته الى

www.liilas.com

بريطانيا، ولكن إذا كان سيبقى في شقة ماريا لنفس الوقت الذي سيبقى فيه، فعليها إذن أن تُبقي في حساباتها الأمر التالي: إنه مهما أبدى مارك من تعاطف وحماس تجاهها من وقت لآخر.. فمن الأفضل أن تتذكر دائماً أنه فقد الاهتمام بها منذ كانا في مطار «كيناباللو».

القطار السلكي المعلق المتجه الى القمة كان شديد الانحدار فتسمرت فاليري في مقعدها. وقد بهرها منظر مانيلا من تحتها، انتهاء بمنظر خليج مانيلا المغلق بالارض المحيطة به تقريباً، والميناء الطبيعي الوحيد المطل على بحر الصين الشمالي. وبدا لها واضحاً نهر «باسيغ» الذي يقسم المدينة الى قسمين، والى جنوبه المدينة القديمة «موروس» المسورة، وتعالى في الجو ضباب خفيف... وركزت على المناظر، إذ ليس لديها ما تقوله لمارك الذي بقي ساكتاً منذ مغادرتهما المطعم وقد مال مزاجه الى التغير... ادعت فاليري أن المناظر تأخذ منها كل الاهتمام، وأنها لا تعي وجوده قربها... وكانت ستقترح عليه العودة قبل الصعود لولا خوفها من إثارة شجار آخر.

تملكتها فكرة رفضت البوح بها... وبما لو اقترحت عليه أن يفترقا وتعود هي الى الشقة، فلربما كان سيرافقها مرغماً... فقلقت واحمر وجهها كاتمة تمرداً سرى الى دمها وانتظرت هدوء العاصفة في قلبها... فالتفتت إليه تعلن رغبتها في العودة. لكنه بادرها بالقول:

ـ لقد نسيت احضار كاميرتك. فهذه أول مرة أتمنى فيها لو أنني أحمل كاميرا.

www.liilas.com

بينما كانت تحاول التكيف مع التغيير المفاجيء لمزاجه... بدا فاتناً عندما تابع:

ـ أتمنى لو آخذ لك صورة كما أنت الآن. شعرك يلمع في أشعة الشمس، والريح تداعبه، كم ستكون صورة رائعة!

ذهلت بما سمعته... من المؤكد أنه يجاملها، ونسيت ما كانت تريد قوله... وماذا بإمكانها أن تقول؟ ومع ذلك...

ـ أراهن أنك تقول هذا لكل الفتيات.

ـ أيام الجمعة فقط.

ـ لكن اليوم هو السبت.

ـ إذن عزيزتي فاليري... أنت فتاة مميزة.

أشاحت بوجهها عنه ثانية، مركزة على المناظر. بينما أفكارها تتخبط في صراع مع قلبها.. فارتأت أن تشرح له الملابسات بشأن الخاتم... وفي هذه اللحظات بالذات.. منتزعة كل أفكاره السوداء التي انطبعت في ذهنه عنها...

أدارت رأسها نحوه بثبات. أليس من الأفضل أن تماشي مزاجه المتغير وأن لا تذكره بشيء؟ أليس من الأفضل أن تُبقي على إظهاره الجانب الطيب منه، الذي يسحرها؟

وإذا أخبرته القصة البريئة للخاتم، ألن يعود ذلك الشخص الذي نفى وجود أي انجذاب بينهما؟ يومذاك كان مستعداً لعلاقة عابرة معها... أيمكن أن لا يكون مستعداً لهذا الآن لو أخبرته؟ أيمكن أن تقاوم إذا فعل؟ ألديها القوة لمقاومته... بينما كل ما يريده منها بضع ليال من المرح... ثم وداعاً.. فاليريا.. سعيد بمعرفتك!

قررت فاليري الاحتفاظ بسر الخاتم لنفسها، لكنها جعلت

من تصرفاتها أكثر ودية معه بينما كانا في طريق العودة. ووجدت صعوبة فائقة في كتمان الأمر عنه، حتى إنها أخذت تقدح زناد فكرها تفتش عن موضوع لا يتعلق بكليهما مستبعدة بذلك الشؤون الشخصية. . .

أشارت الى شجرة ذات أزهار جميلة:

ـ لقد لاحظت مثل هذه الاشجار التي تحمل الزهر الجميل الليلكي المائل الى الزهري في شوارع سنغافورة أيضاً.

ـ إنها الاركيديا الصينية.

ورمقها مارك بنظرة أظهرت أنه يحس بتوترها، وتأكدت من ذلك عندما وصف الشجرة وصفاً شاملاً شارحاً عن أصلها بطريقة ساخرة.

ـ اعتملت رمزاً لانواع الازهار التي تنبت في منطقة بحر الصين الجنوبي اكتشفت عام ١٩٠٨ وسميت «باوهينيا بلاكينيا».

ـ أتطلق هذه المعلومات جزافاً أم أنك تقصد أن تضللني؟

ـ ظننتك مهتمة بها. . لقد لاحظت اهتمامك بتلك الشجرة ذات الاوراق المزدوجة ألوانها بين الاحمر والأخضر. . .

في الواقع. . إنها تهتم بمثل هذه الأمور. . فكل ما ينمو يثير اهتمامها لكنها مضطرة لاستبقاء خطوطاً حمراء بينهما دون اختراق المسافات إلا أنها وجدت الامر صعباً عليها.

وقال لها بلطف:

ـ كفي عن العبوس، وتعالي لنتناول الشاي في مكان ما.

وفجأة انفجر غضبها:

ـ اللعنة عليك مارك هارلي! اذهب وتناول الشاي وحدك. . لقد اكتفيت من احسانك لي!

فصاح بها بنفس العدائية، ونفس التوتر:

ـ وأنا اكتفيت منك. . أنتِ لا تُبقين على هدوئك ولو لدقيقتين متواليتين.

ـ أنا؟

ـ لقد تحدثنا بأمر «الاحسان» ونحن في الشقة. . كفاك تذكيراً به، لأنك تضجرتني.

وكادت أن تنفجر ثانية. ما من أحد قبل اتهمها بأنها تضجره. لكنها عدّت للعشرة، وقالت بجفاء:

ـ شكراً على دعوتك فأنا لا أحس بالعطش.

فرد ببرود:

ـ وأنا تخليت عن الفكرة. إذا كان هذا لا يؤثر على كرامتك، بامكانك المجيء معي لترشديني الى ما سأشتريه في «السوبر ماركت».

العبوس الذي بدا على وجهه أخذ يتفاعل في نفسها. . لكن الانصاف جعلها تعترف بسوء تصرفها، وهما يتبضعان بعد نصف ساعة، طلب مارك من ڤاليري أن تختار ما تشاء عن الرفوف. . . وهذا أمر لم تفعله!. . بكل لباقة كان يحاول جهده أن يساعدها، فليس ذنبه أنها تتصرف أحياناً بوجوده وكأنها ليست ڤاليري باريت اطلاقاً.

بينما هما في التاكسي، عائدين الى الشقة، تملكتها فجأة، رغبة في أن تعود الفتاة الودودة التي كانت، قبل أن تلتقي به. فسألته:

ـ هل ستتعشى في الخارج هذه الليلة؟

ـ أتودين دعوة للمجيء معي؟

www.liilas.com

فأجفلت:

- لا.. لا أنوي هذا!

وأحست بالغضب من نفسها لمحاولة العودة الى طبيعتها، فأخفت دموعها وقالت:

- كنت أفكر فقط... بما أنه لدينا ما يطعم جيشاً.. أنك لو... لو قررت البقاء للعشاء في الشقة.. فسأطبخ لك.

وأشاحت بوجهها عنه لتنظر الى الخارج وعينيها تغشاهما الدموع. فأحست به يمسك بيدها وسمعت صوته يقول بلطف:

- أنت تتألمين فعلاً.. أليس كذلك؟ تتألمين من مساعدتي لك.

هددتها الدموع بالتسلل، فللحظات خالته اكتشف حبها له... ولم يساهم لطف صوته بتخفيف الامر عنها، ومرت لحظات قبل أن تتمكن من الرد.. ثم قالت أخيراً بصوت مرتجف:

- أنت.. مصمم على رؤيتي كما لست أنا اطلاقاً

وكادت تقول له قصة الخاتم، فسألها بلطف:

- وماذا أنتِ؟

يده على يدها دافئة حساسة، مما جعلها تبتلع ريقها قبل أن تجيب.

- أنا لست سوى سكرتيرة صادقة مستقيمة تحاول التمتع بإجازة ثلاثة أسابيع تستحقها... وبما أنني فقدت مالي، وليس لي فرصة للسفر قبل مساء الخميس، فأنا مجبرة على... البقاء في شقة... مع رجل، يظنني.. يظنني..

وتلاشى صوتها، ولم تعد تستطيع أن تثق بما يظنه بها.

www.liilas.com

لكن اثارتها لموضوع ظنه بها جعله يقسو عليها، عندما قال تاركاً يدها:

- وأنتِ.. ألستِ كذلك؟

كلامه أشعل فتيل غضبها، وجفت الدموع على الفور بعد أن كانت تنهمر منذ لحظات دون مقاومة... وردت بحدة:

- لا... أنا لست هكذا.

بالطبع، السبب هو ذلك الخاتم اللعين... لكنها تفضل الشنق على أن تقول له حقيقته الآن.

قال مارك بعد لحظات صمت:

- في هذه الحالة... بإمكانك اظهار أي نوع من الطباخين أنتِ... لكن... على شرط أن تطبخي ما يكفي لاثنين.

التفتت إليه فاغرة فاها، للتغيير الطارىء على مزاجه.

• • •

٦ ـ الورقة السحرية

عادة فاليري القديمة في الاستيقاظ عند الفجر من ثم العودة لإكمال نومها الى ما بعد طلوع الشمس عاودتها.. لكنها يوم الاربعاء لم تغمض عينيها ثانية لتنام، بل استلقت في الفراش تستمع الى أنفاس مارك المنتظمة في الطبقة العليا من السرير، تفكر بالأيام التي أمضياها معاً منذ أن طبخت تلك الوجبة للعشاء يوم السبت الماضي.

كم كان كل يوم يمر أروع من سابقه! لم يعد مزاج مارك متقلباً. فمنذ أن وطأت أقدامهما الشقة، تبنى تصرفات لينة، تصرفات جعلت من الأسهل عليها أن تنام تلك الليلة مرتاحة... بعد أن اقترح عليها استخدام الحمام بينما هو يتابع قراءته.

وهكذا فعلت، فاغتسلت، وغيرت ملابسها وارتدت ثوب نومها، وتمنت له ليلة سعيدة. وبسرعة دخلت غرفة النوم، لم تكن تتوقع أن تغفو بسرعة إلا أنها كانت مستغرقة في النوم عندما دخل مارك الى الغرفة.

وكأنه عقد معها هدنة... فقد أحس حقاً أنها متكدرة من

تقبل احسانه، وجهد للتخلي عن ظنونه بها كي يتركها ترتاح كفاية خلال اقامتها معه.

بقيت مستلقية تتذكر كيف كان يسألها كل صباح عن خططها الجديدة. وتذكرت أنها بالامس كادت تفسد هذا الترتيب، لظنها أنه قد يكون ضجراً من رفقتها له كل يوم، حتى قالت له إنها ستجول وحدها. فصاح بها بحدة، مما جعلها تظن في لحظة جنون أنه يغار عليها حين سألها:

ـ هل دبرتِ أمر لقاء أحد اليوم؟

فوجئت بكلامه الحاد، وتلاشى أملها.. فتصرفه معها منذ يوم السبت كان لائقاً تماماً، لا شيء يفسّر تفكيره بها سوى أنها مواطنة مثله تخلى الحظ عنها. فلم يتحدث معها كلمة في غير محلها.. التفتت إليه فلم تلحظ أثراً للغيرة، بل للقساوة لأنها ترفض شفقته من جديد، منتظراً ردها.. فأيقنت صحة ما قاله مرة بأنه لم يعد يهتم بها.. وسألته بتعقل رداً على سؤاله:

ـ ومن سأقابل برأيك أنت؟ أنت الشخص الوحيد الذي أعرفه هنا. أليس كذلك؟

فاستدار عنها، بحركة عدائية، وعلمت أنه لن يهتم حتى لو امضت يومها مع الشيطان نفسه! فجأة واجهها قائلاً:

ـ لقد اعتدت على مرافقتك... ولن تحرميني من رفقتك اليوم... أليس كذلك؟

ومن يستطيع أن لا يستسلم أمام هذه الابتسامة الفاتنة التي رافقت كلامه؟ فانهارت مقاومتها وقالت عاجزة:

ـ حسناً... إذا كان ذلك يرضيك.

فاليري تعلم تماماً أن مارك تخلى عن الاهتمام بها بعد

www.liilas.com

الخفاء رغبته تجاهها، إلا أنه يوم أمس بدا لها جنة من كلمات. ركبا مركباً الى جزيرة قريبة زارا فيها ديراً، وبقي تصرفه لطيفاً سهلاً. وبما أن السلام يسود قلبيهما، فقد أحست أنها في سلام مع نفسها أيضاً. وكان يوماً للذكرى. . .

ـ ألن تستيقظي اليوم؟

صوت مارك من الجهة الاخرى للباب جعلها تقفز واقفة من السرير، كارهة أن تخسر لحظة من رفقته، فهي مسافرة في الغد. كانت لا تزال تربط فستانها وهي تخرج من الباب، محاولة أن تبدو عادية التصرف، كي لا يلاحظ ارتباكها وخفقان قلبها.

ـ أطلبتني سيدي؟

ـ الخف.

واطاعته مسرعة في ارتداء خفها، فهي غير مستعدة أن تجادله طوال الوقت المتبقي لهما معاً.

ـ ليس لدي اليوم أية خطط.

وصمت لحظات مفسحاً في المجال أن تعلن عن خططها، واكمل حين لم ترد:

ـ سآخذك لفطار رائع.

وأخذها مارك الى مطعم كبير، لا بد أنه أكبر مطعم في مانيلا.. لكنه كان مكتظاً. فانتظرت حتى وجد طاولة لهما. . . وشرح لها وهما الى الطاولة أنها ستتناول فطوراً يمس شغاف قلبها ولن تنساه مطلقاً.

مارك يمتلك قلبها. . . أمر يجب أن لا يعرفه. وأخذت تنظر بذهول الى ما حولها، فالمطعم كان مكتظاً بالمحليين

معظمهم من العائلات مع أطفالهم، البعض لا يزال في ثياب النوم. . . عربات طعام تحمل سلالاً من الخيزران يتصاعد منها البخار كانت تُجرّ الى كل طاولة، حيث تفرغ محتوياتها، السقاة الذين يجرون العربات يقفون أمام كل طاولة يناديهم من إليها معجبين بكل ما يُقدم. . .

بما أنها لا تعرف شيئاً عن المآكل، تركت لمارك أن ينتقي لهما، وتوالت الاطباق. . . فأكلت الفطير باللحم والبصل والفاصوليا، ثم أوراق العنب المحشوة باللحم، ثم طبق أرز بالزبدة والقريدس مع الكاري.

قضت الوقت بتذوق الاطباق المختلفة، كان يقدم إليهما نوعين مختلفين من الشاي أحدهما بالياسمين والآخر بالنعناع، وكان النظام في المطعم، كلما فرغ إبريق شاي يؤخذ عن الطاولة ليسرع ساقٍ متخصص بملئه من جديد. . .

بينما كانت عربة طعام أخرى تمر أمامهما صاحت فاليري:

ـ لقد امتلأت!

ـ ما رأيك بعجينة من الحلوى محشوة بالزلابية الحلوة الساخنة. أظن العربة التي تحملها هناك وستتأخر في الوصول إلينا.

ـ إنهم يعملون هنا بكد، أليس كذلك؟

وصبت لنفسها ولمارك كوبين من الشاي بالنعناع.

ـ إنهم يكسبون كل قرش بعرق جبينهم.

هذا ما جعلها تتجرأ وتسأله عن عمله، فهي تعرف أنه مدير مبيعات، لكنه منذ ذلك اليوم الذي غابه حتى الظهر لم يقم بأي عمل.

www.liilas.com

ـ هل أكملت العمل الذي جئت لأجله؟
أملت أن تعرف أيضاً بهذا السؤال متى سيعود الى إنكلترا. كم سيكون رائعاً لو عادا في نفس الرحلة!
ـ لم انهه بعد.
استنتجت بأنه لا يريد بحث عمله معها. لكنها أصرت:
ـ لمن تعمل؟
النظرة التي رمقها بها، قالت لها إنها محقة في ظنها أنه لا يريد بحث عمله معها مما جعلها قلقة:
ـ ظننت أنني قد أعرف مؤسستك، فالمؤسسة التي أعمل فيها تصنع الالكترونيات أيضاً.
أحست أنها أفضل حالاً عندما نظر إليها قليلاً ثم أجاب:
ـ أعمل لحساب مصنع في ليفربول يدعى «دايفز الكتريك».
ـ لم أسمع به من قبل.
وصلت عربة الحلوى فأخذت فاليري منها ما تريد وكذلك مارك قبل أن يسأل:
ـ أتعرفين مؤسسات كثيرة في ليفربول؟
فابتسمت:
ـ لا. . هل عملت للشركة منذ مدة طويلة؟
ـ سنوات أكثر مما أذكر. . ورداً على سؤالك التالي أنا في السابع والثلاثين من عمري.
ـ أنت قارئ أفكار.
ـ وأنت. . . اثنان وعشرون؟
فضحكت:
ـ تخمينك صائب أيضاً!

ـ ومنذ متى تعملين في المؤسسة الحالية؟
بينما لم يكن هو راغباً في كشف شيء عن طبيعة عمله، فقد كانت راغبة في أن يهتم هو بها، وبما ستقوله:
ـ سنة ونصف.
ـ أيعجبك عملك؟
ـ بل أحبه.
ـ هذا يدل على أنك متفقة مع رئيسك.
ـ إنه لطيف.
وتساءلت لِمَ قطب حاجبيه. . . وربما بسبب نور الشمس، لأنه عندما عاد للحديث لم يكن كذلك. وما لبثت أن شدت عبوسها إذ لم يعجبها ما وراء قوله.
ـ أظنه يلاحقك حول الطاولة من وقت لآخر.
رعشة، سرت في جسدها، أيظن أنها قد تفعل أي شيء لأجل الترقية، والاستفادة؟
وردت بجفاء:
ـ لا شيء من هذا يحدث.
ـ أتعنين أنه يحمل راية بيضاء.
ـ إنه متزوج.
بكل تأكيد الآن، بدا عابساً:
ـ وهل لهذا فرق؟
اختفى كل تمتعها بما حولها فجأة:
ـ أنت لن تصدق مطلقاً أنني لست سوى أنثى قاسية القلب تتحيّن الفرص لاستغلالها. . . أليس كذلك؟
انحنت لتلتقط حقيبتها عن الأرض، وكانت على وشك

www.liilas.com

الوقوف عندما امتدت يده بسرعة لتمسك بيدها:

ـ لكنك لم تكسبي ذلك الخاتم في حقيبتك من كونك تلك الصغيرة البريئة التي مثلت دورها عليّ خلال الأيام الماضية... أليس كذلك؟ ولا تقولي لي إنه ذو قيمة عاطفية، وإنك لا تذهبين الى أي مكان دون أن تحمليه معك..

فصاحت به:

ـ قيمة عاطفية...

ـ أراهن على هذا. حتى أنك لا تضعينه في اصبعك نظراً لقيمته العاطفية الوحيدة التي تشعرينها نحو ذلك الخاتم. كم ستقبضين ثمناً له؟

ـ أقبض ثمنه؟

ـ هذا هو السبب الوحيد لاحتفاظك به هنا معك... لأنك ظننت أن المكان آمن لبيعه.

مكان آمن! غزاها شعور بالغثيان من طريقة تفكيره. فقالت ببرود:

ـ لطفاً أتسمح أن تترك يدي.. فعلى عكس رأيك المثير للسرور بي، فأنا دقيقة في اختيار من يمسك بيدي.

نظرته الساخرة غير المصدقة، كانت القشة التي قسمت ظهر البعير، وأحرقت اللجام الذي كانت تلجم فيه غضبها، فرفعت صوتها صائحة:

ـ اترك يدي...

لكنها أخفضت صوتها ثانية بعد أن نظر الجميع إليها:

ـ لمعلوماتك يا سيد من يعرف كل شيء... لست أنوي بيع هذا الخاتم.. أضف الى أن السبب الوحيد الذي جعلني

أحمله معي هو أن شخصاً اقتحم شقتي قبل مغادرتي لندن... وأظنه أغلى من أن أتركه هناك عرضة للسرقة.

لم يعلق على قيمة الخاتم، مع أنها توقعت منه ملاحظة لاذعة عن كيفية حصولها على مثله وهي الفتاة العاملة الفقيرة. فجأة أشرقت الشمس في وجهها ثانية... عندما ابتسم مارك تاركاً يدها، مداعباً بإصبعه ظهر يدها مدركاً أنه آلمها.

ـ سامحيني ڤاليري.

ولم يعد لديها النية أن تذهب الآن، بل جلست مذهولة تحدق به... وهو يقول:

ـ لم أكن أرغب في تأثيرك عليّ.. فبالرغم من جهدك لابقاء كل شيء عذري بيننا.. إلا أنك اخترقت دفاعاتي.

وتمكنت من سؤاله:

ـ ماذا.. ماذاتقصد؟

ـ يا إلهي الرحيم! بالتأكيد تعرفين ما أقصد! ولديك فكرة عن العذاب الذي تحملته، فتحولي الى تلك الغرفة اللعينة ليلة بعد ليلة، ورؤيتك نائمة... ألا تتصورين الصراع الذي كنت أعانيه كي لا أنام معك في الطبقة السفلى من السرير؟

ارتفع اللون الزهري الى خديها.. وغمرتها السعادة. وكادت تبوح له بسر الخاتم، لولا أنها أدركت أن غريزته وحدها هي التي كانت تدفعه للرغبة في النوم معها. لقد سمعت أن بعض الرجال الذين لا يحبون العيش في الفنادق، لهم طريقة خاصة في العيش ضمن الشقق التي يشغلونها...

امسكت بحقيبتها ثانية، يجب أن تذهب الآن، فأيامهما معاً يجب أن تنتهي... وقبل حلول الظلام.

www.liilas.com

لكنه عاد لشد قبضته على يدها وقال بهدوء:

ـ هل ستقابلين أحداً؟

أحست باليأس، فعلى الرغم من كل ما كشفته له لايزال يعتقد أنها دبرت لقاء مع أحد لبيع الخاتم. لكن هذا اليأس دفعها لأن تفقد الرغبة في مقاومته. فقالت بكل صراحة وصدق:

ـ لا.. لن أقابل أحداً.. لكن نظراً لما اعترفت به لتوك، أرى من الأفضل أن نفترق.

ـ هذا يعني أنك ترغبين بي بقدر ما أرغب بك. صحيح هذا؟

صراحته أوهنت عزيمتها.. فتابع يقول:

ـ أنت ترغبين بي، وهناك شيء ما يدفعك للمقاومة، فهل لصاحب الخاتم الأفضلية بذلك؟

تمنت لو أنه يقفل موضوع الخاتم. إنه يزعجه بقدر ما يزعجها حمله.

ـ هذا ليس صحيحاً، ولا مناسباً...

ولم تهتم بما قد يفسر كلامها رغم نظرته التي فهمت منها أن ردها لم يعجبه.

كيف يمكن أن يناسبها ما يقول، كيف يمكن لها أن تحط من قيمة الحب الذي تكنّه له.. كيف يمكن أن تكون بالنسبة له أكثر من نزوة ليلة عابرة؟ كيف يمكن لها أن تستجيب له وهي تعلم أنه ما أن تطير في الغد حتى يكتب كلمة «النهاية» على الرواية؟

نظر إليها مارك لفترة طويلة وقد تلاشى تجهمه تدريجياً، ونطق متواضعاً:

ـ إذا تقيدت بالقواعد.. وأبقيت على عواطفي لنفسي كما فعلت طوال الأسبوع، فهل تقضين الليلة وغداً معي؟

شدة لهفتها كانت ستدفعها للموافقة على الفور.. بينما تخوض معركة داخلية لتقول «لا» الى أن قال لها:

ـ أتساعديني على جعل هذا اليوم أسعد الأيام الثلاثة التي قضيناها معاً؟

حاولت ڤاليري أن لا تظهر لهفتها، فردت بحذر:

ـ إذا كنت ترى هذا ضرورياً.

ـ هذا ما أراه. وأظنني اليوم سأسير حسب رأيك... أين تودين اللعاب؟

وطار قلبها من فرط السعادة.. وكانت تعرف أنها ستختار مكاناً تحبه بينما مارك يكرهه، فعضت شفتها كي لا تضحك:

ـ أود التنزه في قارب عبر النهر.

وضحكت عالياً من تكشيرته لكنه قال:

ـ أتودين العودة الى الشقة لتأتي بكاميرتك؟

ما من فائدة.. لم يعد لديها أفلام.. وقالت:

ـ لا.. شكراً.

أقلتهما سيارة الاجرة الى مرسى المراكب على ضفة النهر... وبدا مارك مستمتعاً بجلوسه الى جانب ڤاليري فوق مقاعد من تنك على متن الزورق الذي يسيّره مجذاف واحد وكأنه الغندول في البندقية، غير أن النهر هنا هو الحد الفاصل بين المدينتين القديمة والحديثة.

تمتعت ڤاليري بمشاهدة المنازل المقامة فوق زوارق على ضفة النهر الجنوبية بمحاذاة اسوار المدينة القديمة، وضحكت

www.liilas.com

هي ومارك بمرورهما بأحد المنازل العائمة حيث ظهر فجأة كلب صغير الحجم وأخذ ينبح حين رآهما.

ـ انظر هناك!

لم تتمالك نفسها من الصياح عندما ظهر لها على نفس المركب علبة خشبية ملتصقة بجانب المركب تحمل طفلاً صغيراً لا يتجاوز عمره الأسبوع.

أوصلهما المركب الى سوق شعبية داخل اسوار المدينة القديمة حيث شاهدت ڤاليري الكثير من الاشياء الشرقية المغرية... لو أن معها مالاً لاشترت الكثير واختارت أن لا تنظر اكثر من اللازم الى أي شيء.. فلو أن مارك يفكر بها كما يفكر، فهي تفضل الموت على أن يراها ترغب بشراء شيء، ويقوم بدفع ثمنه...

وبعد أن جالا في كل السوق سألها:

ـ هل وجدت شيئاً أعجبك؟

ـ لا شيء.

ـ ما رأيك بالوشاح الحريري الذي لاحظت اعجابك به؟

ـ كان جميلاً... أليس كذلك؟ لقد اشتريت ما يشابهه في سنغافورة.

لكنه لم يعرف أنها اشترته لماريا ميناو.

ـ أمتأكدة أنك لا ترغبين في واحد آخر؟

فقالت جادة:

ـ انظر مارك.. أنت طيب بما يكفي معي دون أن تدفعني لأكون مدينة لك أكثر... وسأكون صريحة أكثر، سأشعر أن أية هدية تقدمها لي، لأنك تظن أنني أحتال لأحصل عليها.

فرد عابساً:

ـ وهذا يثبت أنك لا تعرفين إلا القليل عني. فلو عرفتني أكثر، لأدركت أنني أعطي حيث أريد ان أعطي.

بدا لها أنه راغب في اعطائها هدية ما. فقالت:

ـ حسناً.. لن نتخاصم من أجل هذا.. أليس كذلك؟

بدا أنه لم ينه بعد خصامه لها، فنظر الى عينيها الخضراوين وعلم أنها خائفة من افساد متعة يومهما. فقال بهدوء:

ـ لا... لن نفعل هذا. دعينا نذهب لتناول الغداء.

عاودتها السعادة وهي تجلس معه في مطعم على ضفة النهر، ومسحت يديها بمنشفة ساخنة مبللة جيء بها الى طاولتهما. وابتسمت له وهي تخرج أدوات الطعام من مغلف بلاستيكي قبل البدء بتناول المقبلات المكونة من فتاء حلو وجوز.

www.liilas.com

حذرها مارك، بعد أن قُدّمت لهما عدة أطباق من اصناف مختلفة حين اختارت دوائر من البصل مع ما بدا لها صلصة الطماطم فوق شريحة معجنات كالفطائر.

ـ انتبهي... هذا البصل حار، والصلصة من اشد أنواع الفلفل الاحمر الحرّيف.

عملت بنصيحته ولم تتناول سوى قطعتين منها، وبدون بصل واحست بالنار تأكل فمها فأطفأتها بقليل من الشاي المطعّم بالياسمين الذي قُدّم إليهما في ابريق فضي.

وامتلأت معدتها حتى أنها لم تعد قادرة على شرب رشفة واحدة من الشاي. وكانت موافقة تماماً معه عندما اقترح أن يعودا سيراً على الاقدام لتسهيل هضم ما أكلاه... وهكذا

انقلب اليوم الذي بدأ معكراً لأن يكون واحداً من أجمل الأيام لهما معاً... سارا على مهل وتحدثا حول كل ما لا يعنيهما مباشرة، وسارا أكثر فأكثر حتى وصلا قرب البحر على فم الخليج، فاقترح مارك على فاليري النزول الى الشاطىء والسير فوق الرمال...

كانت الشمس حارة، واليوم جميل، وكانت في أوج سعادتها وهي معه.. مستعدة لتنفيذ كل ما يقوله لها.

لم يكن عند الشاطىء أناس كثيرون. قادها مارك الى مكان منعزل وقال:

ـ أعتقد أننا نستحق الراحة.

جلس على الرمل، وفعلت مثله. كانت تحس بوجوده يملأ أحاسيسها رغم جهدها لأن تبدو مهتمة بالمناظر حولها.

وأحست بعينيه تحدقان بها، فتوترت كما لم تتوتر من قبل، وكان عليها أن تقول شيئاً.. أي شيء:

ـ باتريك... رئيسي، قال لي شيئاً عن هذا الخليج، وإنه شهد معركة بحرية.

تذكرت متأخرة، أنها آخر مرة ذكرت فيها رئيسها انتهى يومهما حزيناً. فنظرت إليه بسرعة. كان يحدق فيها بقساوة عابساً وكأنه يعترض على أي شيء له علاقة برئيسها.. لايمكن أن يكون غيوراً من باتريك.. لكن من الواضح، أنه لا يريد منها أن تذكره... وفتشت عن موضوع آخر للحديث، بعد أن ادركت أنهما خلال سيرهما كان كلامهما سهلاً، أما الآن فهي تجده عملاً شاقاً.

تنفست عميقاً، وقالت أول شيء خطر في بالها:

ـ لا بد أن ماريا كانت تنوي إحضار فراش إضافي.

ويبدو أن مارك يحاول جهده الاهتمام بما قالت، ولو من غير حماس.

ـ أوه.. لماذا؟

ـ كنا سنكون ثلاثة لو أن الأمور سارت كما هو مخطط لها.. لذا كان سينقصنا فراش.

فتغير تعبير وجهه وقال بقساوة:

ـ لأصبح المكان مزدحماً لولا قرار صديقتك بالبقاء مع جدتها. والأفضل أن صديقك لم يستطع المجيء معك.

ـ الصديق الذي كان سيرافقني هو فتاة.

وخفق قلبها وهي تقول هذا.. أحقاً يحس بالغيرة؟ ولم تتغير نظرته بل قال:

ـ خذلتك في آخر لحظة.. أليس كذلك؟

ـ لم تكن غلطتها.. ربما نقلت الى المستشفى في اليوم السابق لسفرنا.. قلت لك إن شقتي اقتحمت بينما كنت أزورها.

لن تفهمه أبداً! فجأة انقلب الى رجل يقاوم نفسه ليبقى هادئاً. وعاد ليكون مرافقاً ساحراً.. وسألها وسحره يدير رأسها:

ـ أنا نكد ضيق الخلق أحياناً.. أليس كذلك؟

ـ ربما هذا عائد الى شيء ما حصل لك في طفولتك.

لم تعد تشعر ببرودته، وعاودتها سعادتها عندما قال:

ـ ستسامحينني؟

ـ إذا لم تسمح لهذا أن يحدث ثانية.

www.liilas.com

ـ سأكون مثالاً للأخلاق الحميدة من الآن وصاعداً. . سنذهب الآن لتناول الشاي مجدداً، وبما أن اليوم لك، عليك أن تقرري أين نتناول العشاء. . .

ـ لا أعرف أي مكان. . . آه. . انتظر لحظة. . .

فجأة أخذت تفتش في حقيبتها:

ـ لقد تذكرت. . . باتريك قال لي. .

اللعنة على اسمه، ها قد زلّ لسانها ثانية!

ـ لقد. . . كتب لي اسم مطعم أصرّ على أن أجربه.

أمسكت بالورقة في حقيبتها، لكنها لم تكن واثقة أن مارك سيرغب في أخذها الى المكان الذي اقترحه عليها رئيسها. . لكنه سألها محافظاً على وعده بأن يكون هادئاً:

ـ ألن تقولي لي أين يقع؟

أوه. . اللعنة. . مما هي خائفة؟ صحيح أنها تريد أن يبقى مارك لطيفاً معها، لكن إذا استمرت بهذا التوتر فستخسر حضورها. أخرجت الورقة لتنظر الى خط باتريك المبعثر.

ـ إنها في إحدى ضواحي مانيلا الجديدة ولا أدري أين.

ـ دعيني ألقي عليها نظرة.

أخذ الورقة منها، وقال بعد اطلاعه على الفندق:

ـ أعرفه.

وأعاد الورقة إليها:

ـ إنه مطعم. . .

وسكت فجأة، وبدأت خطوط التقطيب الشديد تظهر على جبينه، والتصق حاجباه معاً. كانت الورقة في يدها، ودون اعتذار، وبكل فظاظة، انتزعها من يدها وادارها الى ظهرها. ثم

سأل بحدة:

ـ ما هذا؟

وأشار الى ما بدا لها كتابات هيروغليفية على مؤخرة الورقة. فسألته بدورها.

ـ عن ماذا تسأل؟ عن هذا؟ يبدو أنه خط البروفسور. . . لا يمكن أن تكون مهمة. . . مجرد أفكار لا قيمة لها. . . وإلا لوضعها في الخزنة.

لاحظ مارك أنها مجرد خربشة. . . لا بد أنه تخلى عن فكرة تناول الشاي، لأنه طوى الورقة، ودون أن يقول شيئاً، تمدد على الرمل وأغمض عينيه.

وسألها فجأة:

ـ كل الأوراق المهمة تضعونها في الخزنة، أليس كذلك؟

لماذا يسأل، ولماذا انتزع الورقة منها؟ لكن يكفيها أن صوته كان لطيفاً وهو يتحدث معها عن عملها. فأجابت:

ـ أوه. . . أجل. . . فجاكس حريص جداً. . جاكس هو البروفسور. . . مع أننا كلنا حريصون على أمن أسرار الشركة.

فسألها وعيناه لازالتا مغمضتين:

ـ أيدخل البروفسور جاكس. . الى مكتبك عادة؟

سمحت ڤاليري لنفسها بلحظات تعجب. . صحيح أنها صرفت النظر عن فكرة غيرته من باتريك، فلماذا يسألها الآن عن دخول جاكس الى مكتبها. وأجابت:

ـ إنه يدخل كل يوم.

لو أنه يراه بنظارتيه السميكتين لعلم أن لا مجال للغيرة منه. وخفق قلب ڤاليري. . يجب أن تتأكد من أنها على الطريق

www.1ii1as.com

الصحيح. وأخذت تفكر بالبروفسور، إذ لم تتح لها فرصة النظر الى عيني مارك اللتين بقيتا مغمضتين دون تغيير شيء في تعابير وجهه، بالرغم من أنها استمرت في وصف البروفسور بأنه من نفس عمره تقريباً، وانه لطيف تتفق معه... وأنهت كلامها قائلة:

ـ دخل مكتبي آخر يوم لي قبل العطلة.

أرادت أن توهم مارك بأن البرفسور دخل خصيصاً ليراها، لكنه استمر في اغماض عينيه متحدياً خدعتها:

ـ ليتمنى لك عطلة سعيدة؟

ولم تعد تستطيع الكذب.

ـ في الواقع لا.

ثم تذكرت ما حصل من اثارة بعد ظهر ذلك اليوم، واخبرته كيف أن جاكس وبعد عمل مضني استمر عدة أشهر، اكتشف صدفة ما كان يبحث عنه، وكيف تلقى التهاني فيما بعد.

عندما اكتشفت أن مارك لم يكن في وارد التغيرة على الاطلاق... بل كان يظهر الاهتمام من قبيل الادب فقط. وإذا كان لها أن تحكم على نظرته إليها عندما فتح عينيه، لتأكدت انها أضجرته في الحديث عن عملها.

لكنه عاد الى مرحه ومزاجه عندما قالت له لتنهي كلامها إن البروفسور وضع كل أوراق الاكتشاف في الخزنة... فسألها:

ـ هل وضع تلك الأوراق المهمة في الخزنة؟ قبل أو بعد أن اعطاك باتريك هذه الورقة التي تحوي عنوان مطعمه المفضل؟

ـ لم يضعها في الخزنة. بل أنا فعلت هذا. فجاكس مرتب بقدر ما هو باتريك، مكتبهما دائماً مثل الفراش عندما

تغادره. حين خرج جاكس ليتصل برئيس المؤسسة الأعلى، أحضرت ملفاً، ووضعت فيه أوراقه. ثم وجد باتريك قطعة ورق كتب عليها العنوان.

نظرت الى مارك لتجد ابتسامة عريضة على وجهه... فأحبته أكثر فأكثر لأنه كان ودوداً معها ويمازحها. لكنها لم تكن متأكدة من مزاحه عندما سألها وابتسامته متلاشية:

ـ ما هو ذلك الاكتشاف؟

كانت تعلم أنه يتعلق بتركيبة وقائية لها علاقة بتآكل المعادن. هذا كل ما تعرفه. لكنها أدركت بأنها رغم حبها لمارك، لن تستطيع البوح له بهذا السر... قالت له بهدوء:

ـ أنا... أنا آسفة مارك. لا أستطيع اخبارك شيئاً. فأنا لم احصل على عملي في الشركة لأنني ثرثارة.

ردة الفعل التي أثارتها فيه كلماتها أذهلتها وغمرتها بدهشة حتى أذنيها. حين جلس فجأة تعلو وجهه ابتسامة عريضة! مد يده لها. وصاح بها:

ـ فاليريا باريت.. كم أحبك.

• • •

www.liilas.com

٧ ـ ذهب مع الريح

لم يتعشيا في المطعم الذي أوصى به باتريك، رغم أن مارك دسّ العنوان في جيبه، ولم يكمل كلامه عن حبه لها... بل اكتفى بشدها لتقف أمامه واحتواها بين ذراعيه. وقفت مستسلمة عاجزة عن الكلام قبل أن يبعدها عنه. وقال بخشونة:

ـ أحس وكأنني في الجحيم لأنني وعدتك بأن أكون عاقلاً معك اليوم.

أرادت أن تقول له أن يتناسى وعوده، أدركت أنه لم يعنِ ما قاله حول حبه لها.

ـ دعينا نذهب لنفتش عن فنجان شاي.

بعد هذا أصبح مزاجه سائغاً، خالياً من الهموم والهواجس رغم أنه لم يشعر مطلقاً بخيبة أملها، إلا أنها أصيبت بعدوى مزاجه المرح. لقد أشعلت بداخله ارتياحاً وسعادة لما بدا منها من إخلاص للمؤسسة التي تعمل فيها. إن اصرار ڤاليري على الاحتفاظ بأسرار العمل واكتشاف البروفسور خشية أن يكون مارك جاسوساً.. طمأنه تجاه اخلاصها وتفانيها.

قصدا قمة الجبل لتناول العشاء هناك.. مانيلا بقسميها

www.1iilas.com

ومبانيها تحوي مليون ضوء إذا لم يكن أكثر. أنوار المراكب في النهر تتأرجح ذهاباً وإياباً... كانت ڤاليري سعيدة حتى بلون حب مارك لها. فعشاؤها تلك الليلة كان مميزاً ومختلفاً، ولم تكن تدري لماذا. قد يكون السبب مزاجه المرح.. لقد تمتعت الى جانبه بوجبات قبل اليوم، لكن الليلة بدا أن هناك إشارات ملموسة لها أبعاد أخرى.. بدا لها أنه أكثر من سعيد لكونها تتعشى معه.

سألها بعد مغادرتهما المطعم:

ـ أنأخذ تاكسياً الى المنزل؟

تعلم أنهما لو ذهبا الآن الى المنزل، فستذهب مباشرة الى الفراش، وتنتهي الليلة. فحاولت التفكير بطريقة لقضاء المزيد من الوقت في صحبته. وسارع لمشاركتها في القرار:

ـ أم تفضلين أن نسير تسهيلاً لهضم الطعام؟

ـ نعم فكرة جيدة.

لكنها أحست بخيبة أملها عندما نادى تاكسياً. وبقيت هكذا الى أن توقف التاكسي في مكان لم تعرفه. وقال مارك، هو يساعدها على النزول:

ـ فكرت بأنك قد تعجبين بالسوق الليلي في الهواء الطلق. ولسنا بعيدين عن المنزل، وتستطيع متابعة طريقنا سيراً.

في عالم كأنه الأحلام، يده تمسك ذراعها كي لا يفترقا. مشت معه في السوق المزدحم... بينما المناظر والاصوات، ومختلف أنواع الروائح كلها تسجل في ذهنها في أن تحس به بوجود مارك قربها.

وقفا على منصة لبيع المرطبات، حيث رأت نوعاً غريباً من

الشراب.. فسألها:

- أتودين تجربته؟

علمت أنه يتحداها بسؤاله فأجابت:

- نجرب قصعة بيتنا.

وتفاوض مع البائع، ثم أعطاها إحدى الملعقتين من يده، ودعاها لمشاركته ما تحتويه القصعة، وهو يقول ضاحكاً:

- السيدات أولاً.

ولم يكن أمامها سوى أن تذوق منها قليلاً.. ثم قالت:

- إنها لذيذة.

ونسيت أن تقول ولو أنها كريهة.. لكنها عندما أحست بطعم الحلاوة فيها أضافت:

- إنها حقاً لذيذة!

وازداد حبها له عندما داعب أنفها بإصبعه. غادرا السوق، وتوجها الى شوارع أكثر عتمة، ووجدت فاليري حين وصلا الى مقعد خشبي عريض في أحد الشوارع لتجد شاغله ينام ملء جفنيه.

- نوم في الهواء الطلق!

ضحك مارك.. وارتأى أن وضع ذراعه على كتفيها أمر طبيعي. وبقي هكذا الى أن وصلا شقة ماريا مينلو. وحين دخلاها قالت برقة:

- شكراً لك إنه يوم رائع.

فقال بهدوء:

- لقد استمتعت به كذلك.

فاختنق صوتها حين نظر إليها:

- سأستخدم.. الحمام.. أولاً.

عندما أشاح بوجهه عنها علمت أنه تذكر وعده لها. وتمتم:

- قد أنهي آخر فصل في الرواية الليلة إذا كنت محظوظاً.

وتركها تذهب الى غرفة النوم لتحضر أغراضها وتدخل الى الحمام.

استحمت، ونظفت أسنانها، بينما سعادتها بأمسيتها بدأت بالذوبان... إن لهجة مارك أبدت شيئاً من الحتمية عندما قال إنه سينهي كتابه الليلة. وكأنه يقول إنه بعد الليلة سينتهي كل شيء.

ربطت ثوبها، والتقطت حقيبة الحمام، محاولة إخفاء كل أثر للاحباط عن وجهها، وخرجت من الحمام. ثم قالت، وغرفة النوم على بعد خطوتين منها:

- تصبح على خير!

- تصبحين على خير فاليري!

www.liilas.com

قدماها تريدان التقدم نحوه، لكنها كبحتهما بسرعة، وفي لحظة كانت تغلق الباب بهدوء.

في الغد ستقول له وداعاً... أوه... كيف ستقول له هذا دون أن تنهار؟ لكن يجب أن تفعل هذا... ومهما حدث يجب أن لا يعرف مدى عذابها بحبه وشدة ألمها لفراقه.

كسرت ظفرها وهي ترمي الحقيبة من يدها، فأخرجت المقص لتسوي طرفه المكسور. وعندما أعادت المقص مكانه لمحت علبة الخاتم الذي تركه باتريك في عهدتها.

أخرجتها، فتحتها، وحدقت بالخاتم. مصدر متاعبها وظنون مارك السيئة. لقد نجح في اليومين الماضيين، إضافة الى اليوم

في اخفاء ظنونه بها.. ولم تستطع إلا أن تفكر ببعد ظهر اليوم وهما عند شاطىء الخليج. وتذكرت كيف قال بكل سهولة: «فاليريا بارييت... كم أحبك». فجأة أحست بنبضات قلبها الخافق بحبه الذي اعترف به لسانه من وراء قلبه.. قد تكون هذه عادته مع الفتيات اللواتي يصادفهن؟ وتابعت فاليري تحليلاتها... لا.. مارك ليس من الرجال الذين يدّعون الحب عبر الكلمات العشوائية دون روية.. بل كلماته تعني الكثير...

أفكارها المتضاربة زادت في ارتباكها فشهقت لتتنفس، وقد ادركت أنه لن يقول لها المزيد طالما أن سر هذا الخاتم يقف كالشبح بينهما. حتى ولو كان يحبها... آه... يارب! لا تجعلها تخدع نفسها... فهي لم تفعل شيئاً، لتؤكد له أنها لم تأخذ شيئاً في حياتها من أي رجل مقابل شيء آخر.

يجب أن تقول له الحقيقة بشأن الخاتم. وحاولت اخماد ثورة اعصابها التي عصفت بها. يجب... وبما أن الأمر لا يحتمل الانتظار حتى الصباح يجب أن تخبره الآن.

أغلقت فاليري غطاء العلبة وارجعت الخاتم مكانه، واقفلت الحقيبة بحدة مترددة بشأن خروجها الى مارك.. أم أنها في الصباح ستكون هادئة وأكثر قدرة على احتمال رده السيء كأن يقول:

ـ آسف لقد استنتجت استنتاجاً خاطئاً.

جلست على فراشها ثانية. ولكنه قال لها بالأمس أحبك. ولن تستطيع الانتظار حتى الغد لتعرف ما إذا كانت هذه مجرد كلمة عابرة.. بكل هدوء.. والقلب يجري كجياد السباق، فتحت باب غرفة النوم.. مارك يجلس على الاريكة وكتابه

المفتوح أمامه... لم يكن يقرأ به كان مستغرقاً في التفكير. وتقدمت خطوة، فالتفت إليها بحدة خالية من العدائية وفتشت عن ابتسامة تبرزها له، لكن حلقها كان جافاً. حتى كلمها أولاً فسهّل عليها مهمتها وقال بصوت منخفض:

ـ كنت... أفكر بك.

ـ أو.. أرجو.. أن تكون أفكار طي.. طيبة!

رد عليها بإيماءة من يده مشيراً الى المقعد لتجلس قربه. فتقدمت وقلبها يقفز من مكانه، واحست بمسّ كهربائي يلسع ذراعها وهي تمسك بيده. فقال:

ـ تعالي واجلسي بقربي.

وامسك بيدها ليجذبها. ولم تستطع النظر إليه لئلا تفضح عيناها ما في قلبها. وقالت بصوت خشن:

ـ آه.. قلت.. إنك كنت تفكر بي.

ـ أفكر بك.. وبنا.

ـ بنا؟

الفرح، الأمل، الألم، أحلام ادارت رأسها.. ونظرت بغباء الى عينيه البنيتين... فرأت النور فيهما ناراً مشتعلة.. وهي قريبة جداً منها. وتأوه:

ـ آه.. يا للجحيم! أنا مضطر للإخلال بوعدي لك فاليري. سأجن إذا لم أحضنك الآن!

فتحركت قيد أنملة نحوه. الطريقة التي ارتفعت ذراعاها بها لتعانقه، كانت دليلاً على رغبتها في أن يخلف بوعده. وتنفس في أذنها:

ـ فاليريا... حبيبتي.

www.liilas.com

لفهما سحر غريب فشدتها ذراعاه، متأوهاً وكأنه طال به شوقه وبعده عنها، وشدها ثانية، وثانية. . ليشعل فيها ناراً لم تكن تظن أبداً أنها قادرة على الاحساس بها.

وهمست عندما خفف ضمه لها:

ـ أوه. . مارك. .

لكنه لم يدعها تكمل، بل أطبق عليها ثانية، وأخذت يداه تداعبان شعرها بشكل دائري. وأحست بجسدها يذوب في حرارة جسده، وسمعته يهمس ثانية:

ـ أنت جميلة. . يا إلهي. . كم أنت جميلة! لا بد أن هذا المقعد أكثر المقاعد إزعاجاً.

كانت فاليري تكتشف بين ذراعيه أبعاد جديدة لم تكن تعرفها. . الخجل وحده كان يلجم استجابتها لاقتراحه في إيجاد مكان أكثر راحة. . ثم نظر إليها وقال:

ـ أريدك حبيبتي. .

www.liilas.com

وحملها بين ذراعيه ليدخل بها غرفة النوم، كانت قد تركت النور مضاءاً. . كذلك كانت حقيبة يدها على سريرها، فأنزلها الى الفراش برفق وحمل الحقيبة ليرميها فوق حقيبتهما قرب الجدار.

فقدت الحقائب توازنها ووقعت في فوضى مزعجة فوق الأرض فأصدرت صوتاً مريعاً. . ووصلت حقيبتها حتى قدم مارك، لكنه تجاهلها وتوجه ليطفىء النور. . لكن صوتها يحمل الاستغراب والجدة، وصله باستحياء:

ـ أتسمح لي. . . اشعال النور ثانية.

وانيرت الغرفة ثانية، وبرز سؤال في عينيه قال لها إنه لاحظ

غرابة في صوتها. فاشاحت بعينيها عنه. وحدقت مذهولة بحافظة نقودها التي اضاعتها، والتي انزلقت الآن من طية قميص له وقع من حقيبته الواقعة على الارض.

حاولت فاليري جاهدة تفسير ما يحصل لها وما رأته. . وتنقلت بنظرها ما بين المحفظة ومارك الذي لزم الصمت والحذر وفهم سبب طلبها بإعادة اشعال النور. . وشهقت هامسة:

ـ هذ. . هذه محفظتي! التي. . سرقت مني!

ـ صحيح. . . حبيبتي. . .

ـ لكن. . لكن ماذا تفعل في حقيبتك؟

وحاولت تهدئة روعها محتارة ما بين الواقع والوهم. ثم شهقت ثانية وهي تكاد أن تجن:

ـ أنت. . أنت. . لم تسرقها!

وتركزت نظراتها على الحافظة. . غير معقول؟ رغم الدليل القاطع أمامها، محفظتها لم تكن سوى في حقيبته، لم تستطع أن تصدق. أيمكن أن تصدقه لو انكر أنه هو من أخذها؟ لكنه لم ينكر. . بل قال:

ـ فاليري. . . حبيبتي. . دعيني اشرح الامر لك. .

ـ تشرح؟ أوه. . لا! يا إلهي! أنت؟

بدأت الصدمة تهزها بعنف، وتضربها بقسوة اخرجتها من حالة الصمت الى حالة الهذيان:

ـ أنت السارق؟

واجتاحتها رغبة أخرى غير رغبة الهوى. . فوقفت والدموع تُغرق عينيها، وصوتها يرتفع صائحاً:

- أنت.. أنت سرقتها!

لم تعد تهتم ما إذا كان يظنها أصيبت بالهستيريا أم لا! لكنه على عكس صوتها كان صوته هادئاً:

- دعيني اشرح لكِ.. هناك تفسير..

- أراهن أن هناك تفسيراً. أنت كاذب! مخادع! غشاش!

يا إلهي! لحظات وكانت ستـ...!

ولاحظت من خلال عينيه أن ما تصفه به لم يعجبه، ولكنها كانت غاضبة غير مهتمة برد فعله. لقد اكتشفت أنه لص، وأنه لم يكن صادقاً عندما قال إنه يحبها. هذه الفكرة حملت لها الآلام... فهدأ احساسها الهستيري، وصوتها المرتفع الذي كان يشبه الزعيق.. وسألته مرتجفة:

- كيف تمكنت من فعل هذا؟

- لو أنك تصغين إليّ.. فسوف...

فقاطعته ببرود:

- لست مهتمة بأكاذيبك!

- لا أنوي أن أكذب.

أشاحت بوجهها عنه لتنظر الى حقيبته المفتوحة، والى الدليل القاطع أمامها، فتنفست بصعوبة وهي تسخر منه:

- يا إلهي!.. كم أنت أهل للثقة!

خيبة الأمل المتعاظمة امسكت بها من خناقها وهي ترى بأم عينها كم كانت ساذجة حيال ظنه بأنها مغفلة. لا بد أنه كان يضحك في اكمامه خفية لأنها لم تفكر مرة أن تشك فيه، حتى عندما فقدت حقيبتها، وفي هذه الشقة بالذات... لم تفكر مطلقاً بأن تشير الى تلك المرة التي ضبطته خارجاً من غرفتها في

الفندق يوم كانا في سنغافورة.

وقالت بصراحة:

- لقد سرقتها في سنغافورة.. ذلك الصباح عندما ادعيت أنك تكلم عاملة التنظيفات.. بكل تأكيد...

لمست مدى سذاجتها، ومدى براعته. واكملت:

- لا بد أنك رجل داهية... واثق من نفسه حتى الغرور بلسانه المعسول.. لم تقبل عاملة التنظيفات المكافأة مني، لكنك تمكنت من رشوتها لتدخلك الى غرفتي.

- لم أرشها، بل قلت إنك خطيبتي! وإننا متخاصمان، وأريد ترك هدية لك...

وتابع يقول:

- كانت قد انتهت من تنظيف غرفتك، ومن غير المحتمل أن يدخل أحد ليرى ماذا أفعل.

- لكنك لم تترك لي هدية.. بل أخذت.

- قلت لك إنني سأشرح لك.

- تشرح؟

ما من شرح في عرفها يمكن أن يعلوه.. فهو ليس إلا محتالاً. واكملت.

- احتفظ بشرحك لنفسك. فلست مهتمة به.. واراهن أنك ظننت نفسك قد كسبت الجائزة الكبرى ساعة رأيتني أدخل باب هذه الشقة!

- الجائزة الكبرى؟

- لقد تخيلت أن بإمكانك العبث معي.. وكنت تعلم جيداً أنني مفلسة.. وتعرف أنك لو لعبت أوراقك جيداً، فستحصل

www.liilas.com

على صيد يغويك في النهاية.

ـ يغويني؟ لا تتحدثي بهذه القذارة.

ـ قذارة؟ القذارة أنك لم تحاول تغيير موعد سفري، أليس كذلك؟

ـ لم احاول هذا، ولم أذهب الى المطار ذلك اليوم، ولم اكن أظن أنك ترغبين أن أفعل.

ولديه الجرأة الوقحة أن يقول لها هذا!

ـ إذن كنت تسعى فعلاً الى اغوائي.. أيها المغرور بنفسك..! ولديك كامل الثقة بأنني مستعدة للتجاوب معك.. وأنني الى أن يحين موعد سفري، سأكون مستعدة للوصول الى نهاية الشوط معك!

لاحظت أنه بدأ يغضب بدوره، لكنها لم تهتم. لو أنه يتجرأ على قول كلمة لها، فهي على استعداد للقفز عليه وخدش عينيه بأظافرها واقتلاعهما.

ـ أنا لم أخطط للنوم معك في نفس الغرفة.. حدث الأمر مصادفة.

لكن غضبها منعها من الاهتمام بما قال بل رغبت بالانفراد مع نفسها لتلعق جراحها. انحنت الى حقيبته، ودست ما وقع منها كيفما اتفق، اقفلتها ورمتها عبر الباب الى الغرفة الأخرى.. وقالت له:

ـ لو كان عندك ذرة شرف وكرامة فاستجب لطلبي... وامنحني لطفك بالسماح لي بالانفراد بهذه الغرفة.

لم تعجبه الطريقة التي رمت فيها اغراضه، أو بريد أن يعترض على قضاء ليلته نائماً على تلك الاريكة الممسوخة، لأن

غضبه يكاد أن ينفجر. وصاح:

ـ الكرامة؟ من أنت بحق الجحيم لتتكلمي عن الشرف والكرامة؟

ووصل الى الباب ليقول قبل أن يقفله:

ـ على الأقل لدي شرف يمنعني من محاولة فسخ زواج!

بأي حق يفترض أنها تنوي فسخ زواج؟ حاولت أن تحاصر غضبها.. ولكن دون فائدة... واحست بقلبها يكاد ينفجر لأنه لم يعد معها في الغرفة لتصيح في وجهه.. لا بد أنه افترض، بما أنها قالت إنها ليست مخطوبة، فالذي اعطاها ذلك الخاتم لا بد أن يكون متزوجاً. وإلا لتمكنت من وضعه في يدها بكل حرية.

ما عاد يهمها رأيه وظنه بها.. واستلقت على الفراش صاحية... لقد كانت على حق عندما اكتشفت غباءها بحبها له. اعتقادها بعمق حبها له لم يفسح لها المجال للشك في أن يكون هو سارق محفظتها.

كانت الليلة طويلة مضنية بالنسبة لها. ولكن، شكراً لله أنها اكتشفت حقيقته قبل أن... ومع ذلك فإن تغزّل ذلك الرجل المحتال بها كان لها بمثابة تجربة جديدة من نوعها.

كان الفجر قد قارب على البزوغ عندما ارتاح قلب فاليري من عذاب الافكار المزعجة... فنامت... لكنها لم تندهش صباحاً عندما استفاقت بعد بضع ساعات شاكية من ألم حادٍ في رأسها.

استلقت آملة بالتحسن.. فلمست ارتياحاً بسيطاً.. واطمأنت لوجود ملاءة النوم في غرفتها، بعد أن نزعها عنها

www.liilas.com

مارك أمس بينما كانا معاً قبل خصامهما..

شعرت ڤاليري بالاختناق وهي تتذكر كيف كانت كالدمية بين يديه... حسناً، لن تكون كذلك هذا الصباح. ارتدت روبها، ربطت الحزام، جهّزت الملابس التي ستسافر فيها، ثم فتحت باب غرفة النوم، مستعدة لمجابهته إذا ما تفوه بكلمة واحدة.

دخلت غرفة الجلوس ولفّها شعور بالاحباط وذهبت نواياها ادراج الرياح.. حين نظرت من حولها تفتش عن الحقيبة التي رمتها الى الخارج، فلم تجدها. باب الحمام مفتوح وليس هناك أحد في المطبخ. إذن لقد رحل مارك.

على الطاولة.. وجدت محفظتها. تفحصت محتوياتها من نقود وشيكات سياحية لتجد كل شيء كما تركته.

لابد انه لا يزال يحتفظ بشيء من اللياقة والادب في قلبه الاسود.. وتلاشت رغبتها في الاغتسال وتغيير الملابس، فجلست على الطاولة، وغرقت في بكاء مرير والدموع تغسل وجهها... قد تكون سعيدة برحيله.. ولكن لماذا تبكي بحق السماء؟...

• • •

www.liilas.com

٨ ـ صفعة واحدة لا تكفي

على متن الطائرة.. تمكن بعض الركاب من النوم أثناء إيابهم الى وطنهم. استغرقت الرحلة خمس عشرة ساعة. فلماذا لم تنم ڤاليري رغم تعبها الشديد... ووصل الجميع بخير. عندما دخلت ڤاليري شقتها أحست بحاجتها للنوم أسبوعاً كاملاً.

تناولت قرصين من الاسبرين.. فصداعها مؤلم وما يزال منذ صباح الأمس.. وتمنت لو تستطيع معالجة الالم في قلبها بنفس السهولة.

فتحت حقيبتها بعد أن تلاشى صداعها وبدأت بإعادة ترتيب ثيابها والهدايا التي اشترتها، فتذكرت أن عليها الاتصال بوالديها لتعلمهما بوصولها سالمة، وكذلك تينا. لكن من أين لها أن تبدي سعادتها وحماسها؟

اتصلت بمنزل والديها أولاً... مدّعية الفرح والسرور فاحست بأنها أحسن حالاً. وسألتها والدتها:

ـ ستأتين الى البيت نهاية الاسبوع القادم، أليس كذلك؟

ـ كم أتشوق لهذا... هل سيكون ڤيكي في المنزل؟

ـ سيحاول، لكن لا تدعه يسمعك تناديه ڤيكي. لقد أصبح

في الجامعة ويظن أنه أصبح كبيراً على هذا الاسم!

الابتسامة التي حاولت اظهارها لعائلتها تلاشت بعد أن اقفلت السماعة.. والدتها جعلت كل شيء يبدو طبيعياً.. لكن الحب الذي تحس به، جعلها تدرك بأنها لن تكون جزءاً من هذه الحياة الطبيعية بعد الآن، وأنها لن تتمكن من الاتصال ببيت أهلها لتقول لأبيها عن وجوب ابتعاده عن العمل المتعب، أو لتدعوه لمرافقتها لتناول القهوة معاً في الخارج بعد أن تشير عليه بارتداء خفه...

الخف... وعادت بها الذكرى الى مانيلا مع مارك يقول لها إن أصابع قدميها الجميلة ستشعر بخربشة الصرصور.

تمنت يائسة لو تمر دقيقتان دون أن تقتحم ذكراه رأسها. والتقطت الهاتف لتطلب رقم تينا، لتجدها في المنزل وقادرة على الردّ على الهاتف. فاخبرتها فاليري بأن الرحلة كانت كما تشتهي... فعادت بدورها تينا لتخبرها عن ذلك الطبيب الفاتن الذي التقته في المستشفى، ووقعت في حبه. واكملت:

ـ ساجيء إليك... أيمكن؟ هناك أخبار كثيرة أقولها لك.

لكن فاليري خذلتها:

ـ كنت على وشك الذهاب الى الفراش.

ـ يبدو أن السفر الطويل بالطائرة قد اتعبك... الى يوم الاثنين إذن. قد يطلب مني براين الخروج معه غداً الاحد.

احست فاليري بالسعادة لصديقتها، وتمنت لها أن لا يصيبها وجع القلب الذي يسببه الحب.

مر يوم السبت ببطء. فخرجت لشراء ما يلزمها من طعام، رغم عدم احساسها بالجوع، ولم تتأخر.. ولما رجعت من

السوق غسلت ملابسها التي رجعت بها من العطلة، ونظفت شقتها.. وهي تستعرض في ذهنها شريط رحلتها.

بعد ظهر يوم الاحد، شرعت فاليري تتحضر للعمل في اليوم التالي وتجهز الملابس التي سترتديها... هذا حذاؤها نظيف ولمّاع، بذلتها مكوية ومعلقة الى جانب قميصها وبقي عليها أن تحضر حقيبة يدها.

كل هذا لم ينسها خيانة مارك لها.. بل كادت أن تنسى أمر الخاتم لولا أن لمحت علبته في الحقيبة التي أفرغتها فدفعها فضولها لفتح العلبة مجدداً. تباً لهذا الخاتم الذي سبب لها المشاكل.. ولم يفدها بشيء! فلولاه لما وصمها مارك بأنها فتاة «لا تعطي شيئاً مقابل لا شيء»..

اللعنة على مارك... وأحست بالخوف يسري في جسدها.. وازداد خوفها من رفع غطاء العلبة... والشك يجتاح كيانها لأول مرة مستبعدة مارك عن هذه الظنون التي تراودها حوله.

يجب أن تفتح العلبة.. وتذكرت أنها وجدت روبها في الغرفة صباح الخميس.. إذن لقد دخل مارك الغرفة وهي نائمة! وهذا ما زاد خوفها ورهبتها مما قد يحصل.. إذا ما صدقت ظنونها.. وتعرّقت يداها، وجف حلقها.. فحاولت أن تهدأ، فتمكنت من فتح الغطاء... لتجد أن أسوأ مخاوفها وشكوكها قد أصبح واقعاً... وها هي العلبة فارغة.. حدقت فاليري غير مصدقة وامتقع وجهها... ثم أخذت تبعثر كل ما كان في حقيبتها وترمي به أرضاً متأكدة من أنها لن تجد الخاتم، فقفل العلبة ثابت، ولا مجال مطلقاً أن يتزلق الخاتم من مكانه

www.liilas.com

المخملي دون أن تلمسه يد انسان.

بعد نصف ساعة من الصدمة، أدركت أنها بالرغم من كشفها لخيانة مارك، فإنها لم تفقد الثقة به وإلا لكانت أخفت الخاتم تحت مخدتها قبل النوم... حتى بعد أن اكتشفت رحيله، كان عليها أن تفتش عن الخاتم قبل الآن... استجمعت فاليري قوتها.. وقاومت انهيارها حيال تلك المفاجأة وفكرت بما يمكن أن تفعله في ظل هذا التطور الجديد. كل ما تعلمته في تربيتها البيتية وفي صدقها مع نفسها كان يصيح بها أن تتصل بالشرطة، وتدعهم يحققون بالأمر. لكن يدها رفضت أن تلمس الهاتف، حتى وهي تقنع نفسها بأن مارك يستحق كل ما يمكن أن يحصل له... إلا أنها لم تستطع الابلاغ عنه.

وغرقت في التفكير ثانية... وبما يجب أن تفعله... أولاً عليها أن تجد عنوان المؤسسة التي يعمل فيها مارك في ليفربول لتقصدها عند الصباح للحصول على عنوان منزله مهما كلفها الأمر.

www.liilas.com

انكمشت فاليري على نفسها بعد أن أدركت أن باتريك سيصاب بالهلع حين يعلم بأمر الخاتم وإذا لم تعاود عملها كالمعتاد فهو يريد أن يتسلمه مساء يوم الاثنين.. لم تعد واثقة من موعد عيد ميلاد زوجته.. ويجب أن تتصل به، وتطمئنه الى أن تجد ما ستقوله له. لئلا يصاب بالجنون.. حين يعلم أنها أفسدت عليه أجمل مفاجأة ترضي زوجته.

تحفظ فاليري رقم هاتف باتريك غيباً... ولم تستطع أن تطلبه دون التأكد منه أولاً. ردت مديرة المنزل حين عرفت من المتكلم:

ـ السيد والسيدة ميدوز لن يعودا قبل وقت متأخر من الليل... هل تتركين لهما رسالة آنسة باريت؟

ـ لا.. لا.. شكراً لك.. الأمر ليس مهماً.

سوف تتصل به من غرفة هاتف في ليفربول غداً صباحاً، ثم اتصلت بالاستعلامات، وانتظرت ردهم... صممت فاليري على النهوض باكراً والوصول الى ليفربول قبل التاسعة. وستتصل بباتريك من هناك لتخبره بتأخرها. وردت الاستعلامات عليها، فسألت فاليري عن العنوان الكامل ورقم الهاتف لشركة دايفز اليكتريك، فهي ليست بحاجة لرقم الهاتف بقدر حاجتها للعنوان. وأجابت عاملة الاستعلامات:

ـ أهو مشترك جديد؟ الاسم غير مسجل في الدليل.

ـ لا بد من هذا!

تذكرت أن مارك قال لها إنه عمل لهم عدة سنوات، وتوسلت الى العاملة أن تتفحص كل دفاتر الدليل التي يمكن أن تفكر بها، لكنها بعد فترة قالت:

ـ آسفة، إذا كانت الشركة موجودة، فهي لا شك دون هاتف.

وما نوع هذه المؤسسة، التي ترسل مدير مبيعاتها الى الشرق الاقصى لعقد صفقات ولا تملك هاتفاً؟ الأمر مستحيل لأية شركة أن تعمل دون أن يكون لها هاتف.. وأخيراً رضخت فاليري للأمر الواقع وهو أن شركة دايفز اليكتريك ليست سوى كذبة جديدة وحيلة أخرى من ألاعيب مارك هارلي.. وأنها شركة لا وجود لها!

واستشعرت فاليري المحنة الحقيقية التي زجها بها مارك

فسهرت حتى منتصف الليل، دون جدوى من الذهاب الى الفراش فهي ترى باتريك جيداً وهو يشد شعره حين يعلم الحقيقة عند الصباح، عندما تصل العمل صباحاً.

يا إلهي!.. لم يعد للأسبرين أي مفعول مهدىء لمثل حالها. لقد ظنت أن حياتها في لندن قد سلبتها السذاجة التي فطرت عليها في كرونويل.. لكن سنواتها الاربع هنا دبرت لها مؤخراً لقاءً مع قرش مفترس مثل مارك هارلي!

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة عندما عادت تتساءل كيف يمكن لشركة تاولينغ أن تعرف ممثل تلك الشركة جيداً لتعطيه مفاتيح شقة ماريا ميناو في وقت ليس للشركة وجود؟

ارتفعت معنوياتها لتذكرها حملة دعائية لمصانع جديدة في ليفربول.. وبما شركة مارك اشترت هذه المصانع تحت اسم مختلف. وبما أنه عمل معهم لعدة سنوات لم يفكر سوى باعطائها الاسم القديم الاصلي.

نظرت فاليري الى الساعة والامل يتسرب الى قلبها وهي ترى طريقة جديدة وسهلة لمعرفة اسم وعنوان الشركة التي يعمل فيها مارك: ماريا ميناو يمكن لها أن تخبرها العنوان.

وعادت لحساب الوقت: إن الساعة الآن في مانيلا تزيد عن توقيت غرينتش ثماني ساعات، وماريا لابد قد باشرت عملها منذ عشر دقائق بعد عودتها.

دون اعتبار لكلفة الاتصال، فتشت عن الرقم ثم تأكدت من أنها تستطيع الاتصال مباشرة عبر الخط الدولي. ادارت قرص الهاتف وبدت عنيدة وهي تحاول افهام الفتاة التي ردت عليها أنها تود التحدث الى ماريا ميناو.

وصاحت ماريا لدى سماع صوتها:

ـ فاليري! لقد كتبت لك رسالة اشكرك فيها على الوشاح الحريري الذي تركته لي.

واسترسلت تعتذر لأنها لم تستطع رؤيتها، وأن مديرها أضاف لها أسبوع اجازة آخر بينما كان يبدو لها قاسياً.

لغة ماريا الانكليزية واضحة.. وهذا امر تعرفه فاليري، والخط بينهما لا شائبة فيه، مع ذلك فقد قال لها مارك إن ماريا نظراً لحالة جدتها الصعبة اتصلت طالبة تمديد الاجازة. فسألتها عن ذلك... لكن ماريا نفت الامر نفياً قاطعاً شارحة أن مديرها كان لا يزال حزيناً على جدته المتوفية حديثاً حتى أنه اجبرها على اجازة اسبوعين للبقاء مع جدتها، وهذا ما أعاقها عن الحضور الى الشقة لرؤية صديقتيها فاليري وتينا.

القصة كلها بدأت تتشابك في فصولها... وحاولت البقاء متماسكة امام هذا اللغز الجديد. وسألت:

ـ لكن.. هل اتفقت مع مديرك على اعطاء شقتك لاحد الممثلين التجاريين الانكليز أثناء غيابك؟

وبدا واضحاً أن ماريا لم تفهم ما قالته:

ـ الخط سيء.. أتعنين أنني اتفقت على اعطاء شقتي لشخص آخر؟ تعرفين أن شقتي صغيرة، لا تسعني مع أمي. وهذا ما دفعني لقبول الاجازة وعدم رؤيتك كي لا تضايقني أنت وتينا. لقد اتصلت بحارس البناء لأؤكد له هذا وأطلب منه شرح الامر لك.

مرت مسألة الرسالة هذه التي لم يبلغها بها الحارس دون تعليق في وقت حاولت فاليري التركيز على امر أكثر أهمية:

www.liilas.com

ـ إذن.. أنت لم تتفقي مع أحد على البقاء في منزلك!
ـ بالطبع لا.. أهناك خطأ ما ڤاليري؟
ـ لا شيء يقلق...
هزت رأسها وبقي سؤال يحيّرها.
ـ ماريا.. أتسدين لي خدمة؟
ـ سأكون سعيدة بذلك ڤاليري.
ـ اتسألين مديرك عما إذا كان يعرف رجلاً يدعى مارك هارلي؟
ـ مارك هارلي؟
وعلت الضحكة صوت ماريا وهي تشك بأن علاقة غرامية قد أوقعت ڤاليري بحبائلها مع مارك.. في مانيلا..

مرت دقيقة.. دقيقتان.. والشك يساور ڤاليري بالأسوأ بينما كانت تأمل في اجابة مرضية ومطمئنة حول معرفة مديرها بمارك. وأتاها صوت ماريا:
ـ آلو.. ڤاليري.. المدير لم يسمع مطلقاً بهذا الاسم.

• • •

توجهت ڤاليري بسيارتها نحو العمل في أول يوم اثنين لها بعد العطلة تحس بأنها ميتة في داخلها. وظيفتها، عملها، الناس الذين تتمتع بصحبتهم هناك، كل هذا يوشك أن ينتهي. وإذا لم يطردها باتريك على الفور، فهي ستستقيل. لن تستطيع الاستمرار في العمل له وعقدة الذنب تشتعل في داخلها.

فضلت أن لا تفكر ببرودة فعله... ستخبره الحقيقة... وتقول له إن مارك هارلي يستحق أن يودع السجن لعدة سنوات لما فعله معها.

آوه.. إنه محتال حقيقي... جزء من قلبها يكرهه، بينما الآخر لا يمكن له أن يغلق الباب في وجهه. فتأكيد ماريا مينار أن رئيسها لم يسمع به من قبل، أكد لها شكوكها الرهيبة التي كوّنتها عنه.

كم هو جريء! استطاع أن يقنعها بأنه تاجر.. أليست الجرأة جزء من عمل المحتالين؟

اصبح واضحاً لڤاليري أنه بعد سرقته لمالها، لم يكن لدى مارك ما يمنعه من تبذير أمواله كي يحصل عليها. ولمَ لا؟ فكل ما قدمه لها لا يشتري حفنة من الفستق مقارنة بثمن الخاتم.

لقد ظنته يخاطر باتصاله بماريا في الشركة، لكنه عرف من حارس البناية أنها غائبة... وكل شيء سار لمصلحته. حتى حين تحدث الى الفتاة بلغة «التاغالوغ» لغة البلاد التي يتقنها.

أوقفت ڤاليري السيارة، وسارت نحو مدخل شركة تشاريوت وشركاه. لا يزال أمامها بضع لحظات قبل الانفجار المؤكد الذي ستسمعه من باتريك، عندما لاحظت أن السيارة التي كانت متوقفة لحظة مغادرتها المبنى لآخر مرة قبل الاجازة كانت متوقفة اليوم أيضاً.

وانخفضت روحها المعنوية، وهي تتذكر أن السيارة هي لرئيس الشركة الأعلى.. أوه... يا إلهي... وبدأت تصعد السلم، آملة بالمستحيل أن لا يكون اليوم، هو يوم لقائها مع الرئيس، لأول مرة.

الفكرة أصابتها بالذعر، فمارك تشاريوت هو شقيق ماريسا! والخاتم كان لأسرته من سنوات طويلة! ووصلت الى العمر وساقاها بالكاد تحملانها. وتمنت للحظات.. أن تهرب...

www.liilas.com

لقد سمعت أن مارك تشاربوت رجل صعب. ولو عرف بأمر الخاتم فالله وحده يعلم ما قد يفعل؟

تقدمت ڤاليري بوجه شاحب. لتواجه ما لا تريد أن تواجهه.. حتى بدون تدخل شقيقها، ستستدعي ماريسيا الشرطة، إذا لم يفعل باتريك هذا، وهي من لم تخالف القانون في حياتها.. ستصبح وراء القضبان إذا لم تحصل على مارك.

دخلت مكتبها. يداها ترتجفان.. باب مكتب باتريك مقفل. وعليها الآن أن تجاهد كي لا تعود للفرار. يجب أن تدخل لتراه. ادخلي الآن! شدت قبضتيها، واستجمعت عزيمتها ضد رغبتها في الهرب.

تمسكت بلحظة شجاعة، واتجهت نحو مكتب باتريك. قرعت الباب بيد مرتجفة. وخافت أن تهجرها شجاعتها، فدخلت قبل أن يدعوها للدخول.. خطت عدة خطوات الى الداخل قبل أن تلاحظ أن باتريك لم يكن وحده.

حاولت أن تعتذر عن تطفلها، فاستدار الرجل ذو البذلة السوداء الذي كان ظهره إليها، عرفته ڤاليري قبل أن يلتفت إليها... فخفق قلبها بشدة وشهقت مذعولة حين رأت عينيه البنيتين... فالرجل لم يكن سوى مارك هارلي!

في لحظات تغير لونها من الرمادي الشاحب الى الاحمر القاتم، ثم عاد الى الشحوب ثانية. وكل همها الآن هو وجوب خروج الرجل من مكتب باتريك. فتشت يائسة عن طريقة تجعله يغادر المكان قبل أن يعرف باتريك أنهما متعارفان... لم تكن تعرف ماذا يفعل هنا، لكن باتريك ليس غبياً ويمكن له أن يصل بينهما بطريقة ما، مع فقدان الخاتم.

www.1iilas.com

جفت حنجرتها، وهي تحدق فيه.. عيناها مسمرتان على الرجل الاسود شعره الذي كان ينظر إليها بثبات وعيناه جادتان.. وتحرك باتريك الى جانبها فنظرت إليه، ووجدته يبتسم.. واحست بالاختناق عندما ادركت أن الصدمات التي مرت بها في الايام الاخيرة لم تنته بعد...

وقال باتريك بمرح، وكأنه لا يعرف مطلقاً أنها تعرف مارك:

ـ ها هي وصلت.

إذن، كلاهما كان ينتظرها. في وقت آخر، ولصالح مارك كانت ستنكر معرفتها به. وأكمل باتريك ليزيد من صدمتها:

ـ لا حاجة لأن أعرفكما ببعضكما ڤاليري... فأنت قد التقيت برئيس الشركة من قبل... أليس كذلك؟

ـ ري.. رئيس...

وهذا كل ما سمح به ذهولها أن تقوله...

ماذا يقول.. مارك ليس سوى محتال لص. لا بد أن باتريك قد فقد... لكن باتريك بادرها قبل أن تنهي فكرتها:

ـ كان مارك يخبرني لتوه كيف أنك أخذت خاتم باتريسيا معك بعد أن اكتشفت أن شقتك تعرضت للتفتيش... وهذا أمر سيء.. لكن كل ما ينتهي جيداً يكون جيداً. لقد اعطاني مارك الخاتم ولا استطيع انتظار رؤية ماريسيا حتى صباح الغد لاعطيه لها!

كادت تشهق مما سمعت.. لماذا يصر على الدلالة الى مارك على أنه تشاربوت... ولاحظت أن الابتسامة تعلو وجه باتريك من جديد.

لقد استعاد الخاتم! يا للصاعقة... كل ما قاله عدا هذا أخذ يدور في رأسها.. فأعادت نظرتها الى الرجل الذي عرفته كمارك هارلي. الرجل الذي لم يصحح لها معلوماتها عندما نادته بالسيد هارلي. الرجل الذي كان بإمكانه بكل سهولة أن يقول اسمي تشاريوت وليس هارلي.

كان باتريك لا يزال يتكلم جاهداً لجعل فاليري تشعر بالراحة، والطمأنينة تجاه موضوع الخاتم... وكان يتكلم كالببغاء ولا يعطي مارك فرصة للكلام.. وبدا مارك سعيداً من باتريك وهو يرفّه عن نفسه بالحديث.

التقطت بعض كلامه المتسرع لتسمع شيئاً لم تفهمه:

ـ وبالطبع قلت لمارك بأنك لم تتعمدي أخذ تلك الورقة المهمة. لكن وجود بصماتي وبصمات البروفسور وبصماتك فقط كلها دلائل تشير إليك.. وأرجو أن تكوني قد فهمتِ فاليري انه نظراً لهذه الظروف لم يكن بالامكان سوى ملاحقتك.

ـ ملاحقتي؟

وهذه صدمة أخرى جعلتها تستعيد وعيها هذه المرة وتفكر، أية ورقة يتحدث عنها باتريك؟ وماذا كان يقول عن البصمات؟

وابتسم باتريك لها مشجعاً، وتابع كلامه:

ـ هارلي قال لي إنك لاحظتِ وجود من يلاحقك عندما وصلتِ مانيلا. لكن هذا انتهى الى نتيجة مرضية.. أليس كذلك؟ هكذا يمكننا نسيان الامر. والآن قولي لي فاليري، هل تمتعتِ بعطلتك؟ تبدين شاحبة قليلاً!

شاحبة أم لا.. في تلك اللحظة بالذات تراجعت حدة الصدمة عن قلبها، صدمة رؤيتها لمارك في البداية ثم لمعرفتها

أنه ليس مارك هارلي، بل م. هارلي تشاريوت.

وتدافع الى قلب فاليري غضب مجنون شرس فأعمى بصيرتها عن كل ما سمعته بشأن البصمات والورقة والملف واللحاق بها.. فكل ما استطاعت فهمه هو أن الخاتم الآن اصبح بعهدة باتريك وهو يقول بفرح: نستطيع نسيان الامر. هكذا... بكل بساطة يريدها أن تنسى عذاب أسوأ ساعات مرت بحياتها! والكابوس المرعب الذي عاشته!

واستدارت نظرتها الملتهبة الى مارك، وفمها يفضح غضبها المجنون.. كيف لها أن تنسى الجرح وانها كانت مستعدة لتحمل المسؤولية كاملة لأجله، وأن تخاطر بدخول السجن لأجله.. لا مستحيل أن تنسى!...

غضب، لم تعرف له مثيلاً من قبل، ولا اختبرت مثله، فتقدمت الى الامام حتى اصبحت مواجهة للرجل الذي تعرف أنه مارك... نظر إليها بهدوء، واساريره مرتاحة مسترخية، على وشك اظهار ابتسامة واهية.. حين انفجر غضبها.. ولم تعد ترى في تلك اللحظة أن هناك كلمات تكفيها لتقولها له وهي تصر بأسنانها:

ـ أيها السافل المنحط!

واطلقت العنان ليدها اليمنى نحو وجهه، لتلطمه بضربة رهيبة سمع دويها في الغرفة.. صفعة كادت تكسر معصمها...

بينما كان الرجلان يحدقان بها بذهول، لاحظت أن تصرفها لم يكن كافياً للتخفيف من الغضب المشتعل الذي كان يغلي في داخلها. فقالت:

ـ ما فعلته أشعرني انني أفضل حالاً الآن.

www.liilas.com

وانطلقت يدها الأخرى في الهواء لتصفعه ثانية.. تاركة خطوط حمراء على وجهه، وصرخت:

ـ أما هذه، فلأنك جعلتني كالمعتوهة بعد اكتشافي فقدان الخاتم!

مد مارك يده بسرعة ليمسك بها، لكنه كان قد تأخر لحظات في استعادة وعيه، ولم تكن فاليري تنتظر أي شيء.

وصلت الباب بسرعة، وركضت خارجة قبل أن يستعيد أي منهما وعيه... مع أن باتريك كان يبدو أنه لن يستعيد رشده أبداً.. كانت عينا فاليري تقدحان شرراً وهي تسارع الى سيارتها.. فلم تعرف كيف ومتى بلغت سيارتها.

شخص ما كان يدق زجاج نافذة السيارة، يشد بمقبض الباب ليفتحه.. التفتت فرأت مارك وهو يصيح بأن تفتح له الباب. فصاحت ترد عليه:

ـ اغرب عن وجهي!

إذ لم تكن ثورتها قد هدأت بعد..

أدارت المحرك، فأسرع مارك ليقف، متجهم الوجه، أمام سيارتها معيقاً انطلاقها... لكن حركته هذه لم تغير من طبعها وكانت تحس بجنون مطبق عندما داست بقدمها على دواسة السرعة غير آبهة بما إذا كان العبء الذي يحمله في ضميره يمكن أن يبطىء من حركته.

وانطلقت السيارة الى الامام... عندها علمت أنه لم يفقد سرعته.. ففي الوقت المناسب تنحى مبتعداً عن طريقها.

• • •

٩ ـ خناق وعناق

وصلت فاليري الى شقتها في أقصى سرعتها، وكانت لا تزال تزبد غضباً مجنونة مما حصل لها حتى أنها لم تنتبه أن السيارة الفخمة التي كانت عند مدخل شركة تشاريوت وشركاه هي الآن وراءها تماماً.

خطت الى الرصيف، وعلى وشك اجتياز الباب، حين امتدت يداً لتمسك ذراعها. اوقفتها وجعلتها ترفع رأسها لترى أن مارك لم يتأخر لحظة عن اللحاق بها في سيارته.

شدت ذراعها لتحررها منه وقالت ساخرة:

ـ أنت؟

ـ أجل.. أنا.

ـ ليس لدي أي شيء أقوله لك.. فاترك ذراعي.

ـ لن أتركك قبل أن تصغي الى ما سأقول.

ولم يكن هناك ما تود أن تسمعه فما سمعته كان كافياً.

قاومت بشراسة لتخلص ذراعها فقال:

ـ لأجل الله!

واستطاعت أن تلاحظ مدى سخطه لكنها لم تهتم.

www.liilas.com

- اعطني فرصة واسمعيني!
- سأعطيك فرصة الجحيم ولن اسمعك!
لكنها علمت أنها قد تقاومه كل النهار، ولن يترك ذراعها، فرفعت قدمها وركلته على عظمة ساقه، فسمعته يصيح، ويفقد توازنه ليتركها.

ولم تنتظر كي ترى ما حصل له من أذى.. شدة واحدة واصبحت طليقة، وصعدت عبر السلم الى شقتها. كانت قرب الباب عندما سمعت وقع أقدامه، وقع أقدام ثابتة اعلمتها أنها لم تؤثر عليه مطلقاً ولم تقعده كما يستحق.

فتحت باب شقتها في لحظات وعلى وشك الدخول، وقبل أن تصفق الباب كان مارك بجسده الفارع الطول معها، ويدفعها للدخول محاولة منه للدخول هو أيضاً. ولم يعد مستعجلاً. فقد حقق هدفه. مارك هارلي تشاريوت.. استدار واقفل الباب بهدوء. عيناه غاضبتان، لكنه تعمّد أن يواجهها.. فاستندت الى الباب بكل عفوية.

www.liilas.com

صاحت به آمرة وانفاسها متسارعة:
- اخرج من هنا!
- سأخرج عندما أريد.
- اخرج.
فصاح بها بشراسة:
- اصمتي.
- اذهب الى الجحيم!
- ليس قبل أن تستمعي الى ما سأقول.
- وماذا لديك لتقول؟ يا إلهي، ألم أسمع منك ما يكفي؟

- لا.. لم تسمعي شيئاً بعد. بداية أنت لم تسمعي لماذا...
- لست مهتمة لأعرف.
ولتثبت هذا توجهت الى غرفة نومها قاصدة أن تقفل الباب عليها حتى يخرج.

لكنها فوجئت بقدمه داخل الباب وهي تصفقه.. وبتلك النظرة المتجهمة المرتسمة على وجهه والتي قالت لها إنه مصمم على جعلها تصغي إليه. وشدت بكل قوتها لتقفل الباب وهي تصيح:
- اذهب.. من هنا!
ثم لاحظت نفاذ صبره.. فركل الباب ليفتحه، وامسك بها تحت ذراعه، وحملها وهي ترفس وتقاوم، ورماها فوق السرير. ثم امسك بها ليثبتها على الفراش وهي تحاول الجلوس. وقال لها:
- هنا أو هناك لا فرق عندي.. سوف تسمعين ما سأقول فاليريا باريت! ولو اضطررت الى تقييدك الى السرير!
أخذت تضربه بقبضتي يديها وتصيح:
- لن أفعل.
- ستفعلين مرغمة.
فقالت لاهثة الأنفاس منهكة:
- اتر.. كني.. وشأ.. ني.
- سأتركك إذا وعدتني بأن تحسني التصرف. اضربيني مرة واحدة عندما اتركك، وأقسم لك بكل المقدسات أن اضربك!
الخنزير القذر، ضارب النساء، إنه يعني ما يقول.. فقالت

ساخرة:

ـ أنت سيد مهذب حتى آخر ذرة فيك.

سرعان ما لاحظت أن البركان الثائر فيها أخذ ينطفىء.. ولاحظ مارك انخفاض غضبها.. واحست بتخفيف قبضته عليها، وعيناه مركزتان على عينيها، وتقولان لها إنه مستعد لتركها، لكنه سيعاود الامساك بها لو تحركت منها عضلة واحدة. وقال:

ـ على ما يرام الآن؟ هل أنت مستعدة للجلوس والاصغاء بهدوء؟

نظرت إليه بتمرد.. بامكانه الذهاب الى الجحيم، وكانت على استعداد لتقول هذا له. لولا وجود سبب يمنعها الآن.. اختار مارك تلك اللحظة ليتحرك. ماذا سيقول ياترى؟ والذي يقدم تفسير قاطع للطريقة التي عاملها بها.

بقيت صامتة بعناد، لكنها أشاحت بوجهها عنه عندما تركها مستلقية على السرير ليجلس الى جانب السرير قربها. وبدا أنه لن يفوه بكلمة قبل أن تكون مستعدة للجلوس بهدوء والاصغاء.

ـ سأجلس لأصغي.. فليس لدي خيار آخر. لكن لا تعتقد أنني سأصدق كلمة مما ستقول. فلا شيء يغفر لك ما فعلته بي.

ـ لا تحكمي عليّ قبل أن تسمعي كل شيء.

لكنها حكمت عليه مسبقاً، وتعرف أنه أكره شخصية تعرفها. واكمل:

ـ لم أكن أقصد أن أجعلك تعانين... لكن هناك امور

محددة لم تتوضح لي سوى هذا الصباح.

ـ هذا الصباح؟

وازداد فضولها في وقت لم تكن تنوي تصديق كلامه فأكد لها:

ـ أجل.. هذا الصباح. لكن سأبدأ من البداية.. تعلمين الآن أنني أنا من فتش حقيبتك في..

ـ وأخذت محفظتي. لكن للأسف كان الخاتم في حقيبتي، وأنت كنت تسعى وراءه طوال الوقت. أليس كذلك؟

ـ لم أكن أفتش عن الخاتم اللعين.. لم أكن أعرف أنه معك.

فرمقته بنظرة شك:

ـ قصة خرافية أخرى!

فنظر إليها بعينين مشتعلتين، تحذرانها لحفظ لسانها.

فتجاهلت نظرته مدعية أنها ليست خائفة منه:

ـ كنت أعلم أنك لم تفهمي كلمة مما قاله باتريك لك في المكتب.

ـ لم أكن مضطرة لأسمع أكثر من أنك لست مارك هارلي بل مارك هارلي تشاريوت...

فقاطعها:

ـ باتريك كان يقول... ليساعدني الله.. إن الورقة الأخيرة لكل استنتاجات جاكس، والجواب على حل مشكلة تآكل المعدن، والتي عمل لها جاهداً لأشهر طويلة.. كانت مفقودة.

ـ مفقودة؟ ورقة جاكس...

اتسعت عيناها دهشة وتلاشى غضبها. ونظرت إليه

www.liilas.com

بأسف.. حين بدأت الأمور تتضح لها وفهمت الآن ما قاله فصاحت:

ـ لا!

لكن كان عليها تقبل الأمر، وهي تعلم ضرورة الاحتراس على الورقة التي تحمل تركيبة جاكس لئلا تقع في أيدٍ غريبة، ونسبت عدائيتها لمارك... وكررت:

ـ أوه.. لا!

ثم وبينما كان مارك يتأملها ويلاحظ صدمتها، تماسكت وحاولت تذكر ما كان يقوله باتريك. لقد قال شيئاً عن بصمات.. والملاحقة! فشهقت وسألت مارك:

ـ أظننتم أنني.. أخذتها؟ أحقاً أسأتم الظن بي؟

وبدأت ترتجف، فأمسك بيديها، بلطف هذه المرة..

ـ أنا آسف.. صدقيني. لكن حسب الأدلة التي كانت أمامنا، لم يكن أمامنا سوى أنت؟

ـ لما.. لماذا.. وكيف؟

ـ كنتِ الوحيدة التي بقيت في المكتب بعد وضع الأوراق في الخزنة.

لم تتذكر هذا، فالامر مر عليه وقت، لكنها صدقت أنها كانت لوحدها، فقالت محتجة:

ـ لكنني لا أملك مفاتيح الخزنة.

واحست بالغضب لظهور ابتسامة على وجهه.

ـ اعترف باتريك أنه كان يترك المفاتيح معك أحياناً عند اضطراره لمغادرة المكتب... ولا يطول الامر مع جاسوس صناعي ليأخذ نسخة عن أية مفاتيح.

ـ جاسوس صناعي. أتظنني جاسوسة صناعية؟

ـ نحن نبتعد بهذا الحوار عن الموضوع.. كما تعلمين، اتصل بي جاكس معرباً عن فرحه بعد أن وضعت التركيبة في الخزانة. وبما أنني درست الفيزياء في الجامعة، هذا هذا استفادتي من الخبرة في المؤسسة. احسست بالاثارة مثله. وطبعاً جئت على الفور.. واصطدمت بك في طريقي.

ـ أنت من اصطدمت به؟

أوه.. لو أنها رأت وجهه لما مرت بما مرت به، إنها متأكدة من هذا.

ـ كنت مشغولة البال لا تعرفين أين تسيرين؟ تذكرت هذا بعد أن هنأت جاكس واعطاني الاوراق من الخزنة.

ـ لكنكما لم تجدا الورقة التي تحمل الحل الأخير. لذلك فكرت، بما أنك ظننتني مشغولة البال، أنني أنا..

الامر وصعب.. واضطرت الى تذكر ما كان يشغل بالها منذ أربعة أسابيع.. كانت تفكر برؤية ماريسيا لباتريك يقبلها على خدها متمنياً لها رحلة سعيدة. وقالت بهدوء:

ـ لكنني يومها لم أكن أفكر بعمل البروفسور.

ـ أعرف هذا.

ـ لكنك في ذلك الوقت لم تفكر سوى بي؟

ـ ليس في الحال.. فما كنا سنسمح لك بالاقتراب من تلك الاوراق لو كنا نشك بكِ. ولكن بعد التفتيش الدقيق.. كنتِ أنتِ الوحيدة المشتبه بها.

ـ وهل صدق جاكس وباتريك هذا؟

ـ لا.. جاكس قال إنه لا يصدق.. لكنه كان غير مهتم

www.liilas.com

سوى باستعادة الورقة التي تحمل النتيجة التي عمل ساعات للوصول إليها.

ـ وباتريك؟

ـ لم أسمع من قبل مثل دفاعه عنك.

لكن من الطريقة التي قال بها هذا فهمت أن دفاعه زاد الامور سوءاً أكثر من تلطيفها وسرعان ما عرفت السبب عندما أكمل مارك:

ـ كان باتريك يدافع عنك عندما ارسلته ليتفحص البصمات على الملف. وبينما كانا غائبين وصلت ماريسيا. . . وقد فاتها كل ما حدث. لأنها كانت في غرفة الاستراحة، كما قالت. لكنني لاحظت أنها كانت تبكي. واخبرتني أنها شاهدت باتريك يقبلك.

ـ كانت مجرد قبلة وداع على الخد. لم يفعل مثل هذا من قبل، وما كان ليفعل هذا لولا أنه كان مسروراً وسعيداً بحب ماريسيا، وكم ستكون سعيدة لاصلاحه الخاتم. . ووعدته أن احتفظ له به حتى اليوم.

فابتسم مارك.

ـ اعرف كل هذا الآن. اخبرني كل شيء منذ لحظات عندما قلت له أن ينسى علاقته معك لأنك لم تعودي مهتمة به.

يا إلهي. . أيعرف أنها تحبه؟ ولم تجرؤ على السؤال، فبقيت صامتة.

ـ لنعد الى الورقة الخطيرة. باعتقاد ماريسيا أن لك علاقة مع زوجها. جعل هذا من دفاعه عنك لا قيمة له.

ـ وهل صدقتها؟

ـ تعلمين أن باتريك كان على علاقة بإحداهن.

ـ أجل.

ـ فكيف يمكن إذن أن لا أصدق؟

ـ لقد ظننتم أنني سأسلم الورقة الى من أتآمر معهم. . . لكن للأسف فرجل أمنكم لم يرَ مني سوى زيارة لصديقة مريضة في المستشفى؟ وهذا ما اعطاكم فرصة الدخول عنوة الى شقتي وتفتيشها. أتدري كم أرعبتني فكرة دخول غريب الى شقتي ليعبث بأغراضي؟

ـ مشاعرك في ذلك الوقت لم تكن تهمني.

ـ لا بد أنه خاب أملك لأنك لم تجد شيئاً! فانضممت الى الرحلة السياحية عمداً للتجسس علي؟ لا بد أنك وجدت الرحلة مضجرة؟ لكن لماذا لم تنضم الى المجموعة التي كنت فيها، لوفرت على نفسك عناء ملاحقتي. أليس كذلك؟ ولماذا لم ترسل رجل أمنك ليقوم بالعمل القذر عنك؟

ـ كان لدي كثيراً عمل وسفري أسرع. وهكذا استلمت اسماء وعناوين الفريق الذي كنت فيه، فقررت أن أتجنب مجموعتك.

ـ كنت تعرف أنني سأتساءل عن اسم م. هـ. تشاربوت. لو شاهدته معي في نفس الفريق.

ـ لم أكن أعرف بسفرك حتى وجدت حقيبة جاهزة في شقتك. . . فطلبت من باتريك معرفة السبب.

ـ فظننت أنني على علاقة به. وأننا مسافران معاً!

ـ هذا يعني أنه متورط معك في قضية الورقة المفقودة لكنني طالما كنت أعرف ولاءه للعمل، وأن أمانته فوق

www.liilas.com

الشبهات.

- لذلك فكرت فوراً بأن سفري هو للقاء من سأبيع لهم الورقة.

- قال لي باتريك إنك ستقيمين مع صديقة لك تعمل في إحدى الشركات التي تتعامل معها.

فشهقت:

- أظننت أن ماريا كانت الوسيط لمؤسستها؟

- لا.. فمؤسستها لا تهتم بهذه الامور، وكان عليّ أن أعرف، لمن ستبيعين الورقة من منافسينا القذرين.

فهمت ما يقول لكن هذا الفهم لم يساعدها على الاحساس بالراحة.

- وهكذا لحقت بي على الفور.

- لا.. بل ارسلت من يلحق بك.

- الأصلع؟

- أنا آسف.. لقد أخافك..

- أخافني؟ لقد شلني من الخوف! لقد ظننته وراء الخاتم. لكن هناك شيء ناقص في نظرتك لي كجاسوسة.. لا استطيع فهمه ولكن.. لقد فهمت! لقد فهمت! ترتيبات عطلتي بدأت منذ أشهر وهذا يثبت أنني لست جاسوسة. ألا ترى.. اكتشف جاكس التركيبة بعد ظهر آخر يوم عمل لي، وكان يمكن أن يتأخر أشهراً أخرى.. ألا ترى...

فرد بنعومة:

- أرى جيداً.. وكم أنت بريئة. وما قلته يثبت براءتك.. ليس لديك أية فكرة كم تحتوي الخزنة على تركيبات سرية...

أليس كذلك؟

- أتعني أنني كنت أستطيع بيع أي شيء منها للمنافسين؟

- كل ما أعنيه أنني عرفت الكثير عنك في الاسابيع الأخيرة يا فاليري. فكل ما فعلته وقلته كان يثبت براءتك وإخلاصك ومما زاد ثقتي بكِ ما بدا عليك هذا الصباح عندما قابلت باتريك. وعرفت أن الخيانة والغش ليسا في طبعك.

آوه يا إلهي كم تتمنى أن لا يستمر في مثل هذا القول! فقد بدأت عظامها بالذوبان حتى العظم. وسوف يجد مارك في نظرتها وعينيها أنها أصبحت لعبة بين يديه..

- لكنني لازلت جاهلة سبب سرقتك لمحفظتي.. آه.. فهمت.. أردتني مفلسة كي لا أذهب الى أي مكان.

- أردتك مفلسة كي أجبرك على الاتصال بعميلك لإتمام البيع. وأذهلتني يوم طلبت تغيير موعد سفرك دون أن تقومي بالاتصال. فإما كنت تحاولين خداعي، أو أنه لديك خطة أخرى، وفي مطلق الأحوال، لم اذهب الى هذا المدى في عقابك، وكنت مضطراً لابعاد صديقتك ماريا مينار من الطريق.

عندها فهمت لماذا انكر رئيس ماريا معرفته بمارك، وصحيح أنه لم يسمع باسمه لأن رئيس الشركة اسمه م. هارلي تشارلتون.

وعرفت فاليري أن ليس هناك ما يقال بعد.. فمارك مؤمن ببراءتها، وباتريك حصل على خاتمه.. فماذا يبقى سوى الوداع؟ وتحركت تنوي الوقوف، لكنه وضع ذراعه حول كتفيها.. لمسة مارك أثارت فاليري وجعلتها تقاوم كي تبقى هادئة. وقالت ببرود:

www.liilas.com

- أظننا مررنا بهذه المرحلة من قبل.. لقد شرحت كل شيء لي... واصغيت إليك.. أما الآن يا مار... يا سيد تشاريوت، أظن أن عليك اللعاب... فقد قلت كل ما جئت من أجله.

- لكنني لم أقل كل ما جئت لأجله بعد.

حاربت بكل قوتها كي لا تذوب أمامه.. وفكرت بما لم يقله بعد.. ولم تندهش عندما علمت أنه فاتها سماع أفضل ما في القصة. فبعد أن سألته:

- بالطبع.. لم تجدوا تلك الورقة.. بعد. أليس كذلك؟

وخفق قلبها مع علمها أنه قال إنه مؤمن ببراءتها.. واكملت:

- فماذا تحاول أن تفعل الآن.. عملية إغواء أخرى بعد أن ظننت مرة أنك أوقعتني بين براثنك لقمة سائغة؟ كي أقول لك أين هي الورقة؟

- أية محاولة إغواء بعد الآن لن يكون لها صلة بالورقة.

لكنها لم تصدّقه، فقد تعلمت بقساوة.. لكنها رأت قساوته تتبخر. والبسمة تظهر على فمه.

- لقد وجدت الورقة الضائعة أول مرة ضممتك فيها بين ذراعي.

- وجدتها؟ لكن.. قلت إنكم فتشتم الخزنة.. وانكم..

- لم أجدها هنا.. بل في مانيلا.

- مانيلا؟ كيف؟ أين؟ من.. مع من كانت؟

- يا عزيزتي فاليري.. كانت معك.

- معي!

www.liilas.com

- لم تكن معك فقط، بل أنك اعطيتني إياها بكل براءة يوم كنا على رمال الخليج.

- أنا؟

فلامس خدها بيده.

- التركيبة كانت مكتوبة على الوجه الآخر للورقة التي كتب لك عليها باتريك عنوان المطعم.

ذهلت فاليري مما سمعت، فشهقت وصاحت ببطء:

- الورقة التي كان عليها عنوان المطعم؟ أوه.. يا للقديسين!

إنه ذلك اليوم الذي ضمها فيه بين يديه وقال إنه يحبها:

- لهذا كنت سعيداً. وكنت أظن أنك تغازلني لأنني أعجبتك. لهذا قلت إنك تحبني.. لأنك ستتمكن.. من السفر، ونسيان امر وجودي!

- لن أتمكن أبداً من نسيان وجودك. وعندما قلت إنني أحبك.. كنت أقصد بالضبط ما أقول.

- أنت تمزح.

وانقلب لون وجهها الى القرمزي.

- قصدت أن يبدو الأمر مزاحاً.. لكنني ادركت فجأة كم أصبحتِ تعنين لي. وكان لدي الكثير من الكلام المكبوت في داخلي. ولم استطع أن امنع نفسي من البوح وقلت يومذاك إنني أحب كل شيء فيك.. وليس أقلها فخرك بأن تكوني مخلصة الولاء لمؤسستي.

ازداد خفقان قلبها.. حدقت به تكاد أن لا تصدق. ورأى مارك أن فاليري لا تعترض على حبه لها ولا بد أنه لمس

بوضوح مشاعرها نحوه. احساسها بيده ثانية على بشرتها ساعد على فقدان توازنها من جديد، فاستدارت تنظر إليه. فسمعته يقول:

- يا فتاتي الحبيبة! كان لا يزال هناك مسألة الخاتم في الطريق.

- أظننت أن باتريك اعطاني إياه؟

- صدمت عندما رأيت معك خاتماً أذكر تماماً أنه ملك لعائلتي، وآخر مرة رأيته كان يوم اعطيته لماريسا. وهذا ما أكد لي شكوكها بأنك على علاقة مع زوجها. رغم أنني عرفت من الطريقة التي استجبت بها لعناقي أنك بريئة من تلك العلاقة.

- لقد خرجت تلك الليلة من غرفة النوم لأقص عليك قصة الخاتم. اردتك أن تعرف أنه ليس لي علاقة مع أحد.. قبل أن أسافر في اليوم التالي.

وابتسمت له، وبلغت قمة السعادة عندما رد عليها الابتسامة.

- عندما شعرت بالانجذاب نحوك نسيت كل شيء واحتويتك بين ذراعيّ هكذا.

كان عناقه حاراً.. كأنما يتضور لهفة ليشعر بها بين ذراعيه؛ وضمها أكثر فأكثر. وطال عناقهما، حتى أحس بتجاوبها فاحتضنها هامساً:

- أحبك..

- أهذا صحيح؟

- إنني أحبك.. لمست ذلك يوم أضعتك في الفيليبين، وقلقت كثيراً دون أن اعرف السبب.. أما اليوم فحبي لك

www.liilas.com

يتضاعف ويكبر..

- كان بإمكانك أن تعرّفني بنفسك.. وأن تخبرني عن الورقة الضائعة بدلاً من سرقة محفظتي.

- لقد احسست بالحاجة لإيضاح كل شيء قبل أن أعرض عليك الزواج مني.

- الزواج منك؟

- ستتزوجيني أليس كذلك؟

- أظن.. أنني مضطرة، فقد كنت مستعدة هذا الصباح أن أتحمل عنك أعباء العقاب والجريمة عندما يكتشف باتريك ضياع الخاتم ويستدعي الشرطة.

- أتفعلين ذلك لأنك...؟

- لأنني أحبك.

- أوه... حبيبي وأنا أحبك! وستتزوجني!

- أجل سأتزوجك.

- يا إلهي، عندما أفكر كم عذبتك؟!

- لم يعد الأمر مهماً. لكن أكنت ستضربني لو ضربتك مجدداً.

ابتسامته بعثت في قلبها البهجة.

- كنت أنوي تقبيلك وضمك.. هكذا.

والتقت ذراعاه عليها وعاد يعانقها بكل الحرارة التي اختزنها لها في قلبه.

• • •